الآباء شنوده الثالث

بعض شخصيات الكتاب

"الجزء الأول"

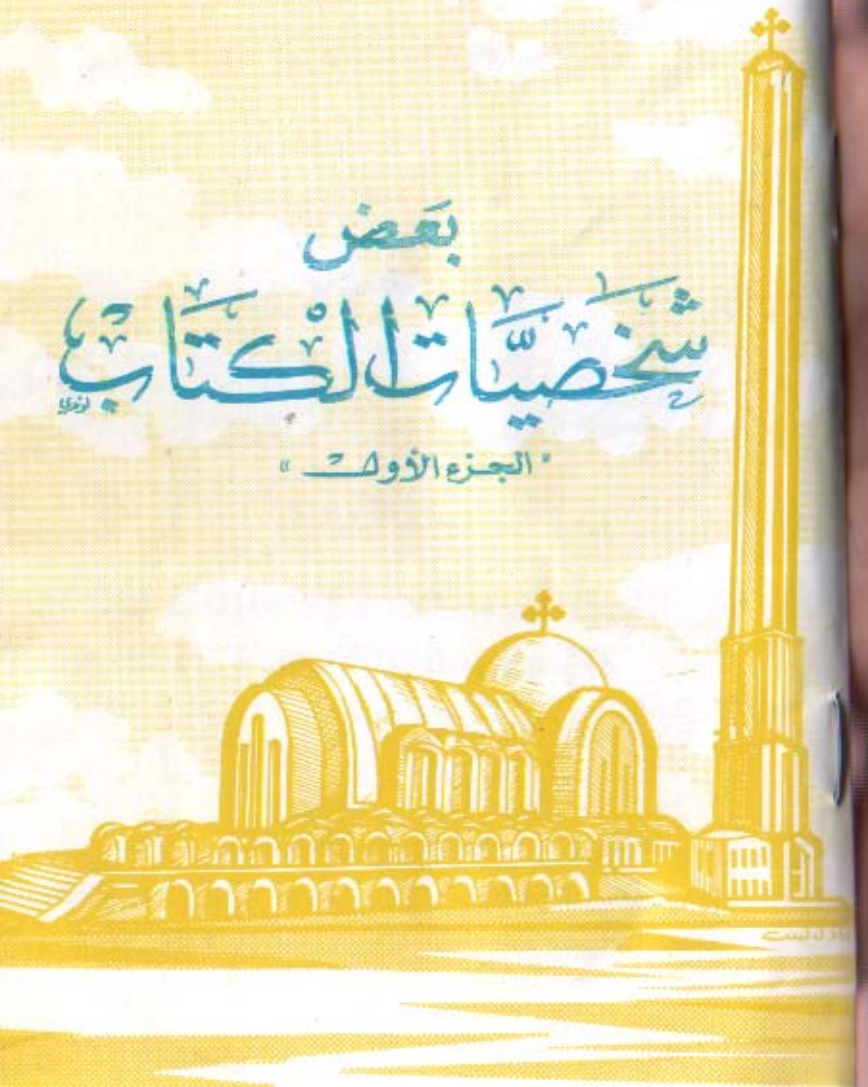

إبراهيم
أبو الآباء والأنبياء

أهمية أبينا إبراهيم :

حينما نتحدث عن أبينا إبراهيم، نذكر أهمية شخصيته:

١ – إنه الشخص الذى **تجتمع حوله ثلاث ديانات:** اليهودية والمسيحية والإسلام.

٢ – وكان اليهود **يفتخرون باستمرار أنهم أبناء إبراهيم**، حتى وبخهم القديس يوحنا المعمدان قائلاً "لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً، إنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم" (مت٣: ٩).

٣ – نقول أيضاً إن الأبرار بعد موتهم **يذهبون إلى أحضان إبراهيم**. وقد ذكر الكتاب أن لعازر المسكين لما مات "حملته

الملائكة إلى حضن إبراهيم" "والغنى رأى إبراهيم من بعيد، ولعازر فى حضنه" (لو١٦: ٢٢، ٢٣).

٤ – وإبراهيم هو أول شخص غير الله اسمه فى مباركته. كان اسمه ابرام فدعاه إبراهيم وقال له "لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم" (تك١٧: ٥).

٥ – ومن أجمل ما يُقال عن إبراهيم، قول الله عن نفسه لموسى النبى "أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب" (خر٣: ٦). وقد ذكر السيد المسيح هذه الصفة "إله إبراهيم.." فى حواره مع الصدوقيين (مت٢٢: ٣٢).

٦ – ولا ننسى إطلاقاً أن ربنا يسوع المسيح قد جاء من نسل إبراهيم. كما ورد عنه فى سلسلة الأنساب أنه "ابن داود بن إبراهيم" (مت١: ١).

٧ – وقد بارك الله إبراهيم وقال له بالأكثر "تتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك١٢: ٣) "ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض" (تك٢٢: ١٨).

٨ – ولما قبل الرب توبة زكا العشار، ودخل بيته، تذمر اليهود، فقال: "اليوم حدث خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن لإبراهيم" (لو١٩: ٩).

٩ – وفى بنوة المؤمنين جميعاً لإبراهيم، قال القديس بولس الرسول "الذين هم من الإيمان، أولئك هم أبناء إبراهيم" (غل٣: ٧).

١٠ – ومن عظمة إبراهيم، لقبه أبو الآباء والأنبياء .

دعوته :

فى يوم لا يعرفه، دعاه الله. وقال له "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك، إلى الأرض التى أريك.." (تك١٢: ١).

إن الله يختار من يشاء، ويدعو من يشاء، للهدف الذى يريد.

وكان إبراهيم وقتذاك فى أور الكلدانيين ما بين النهرين.

كان ابن خمس وسبعين سنة حين دعاه الله (تك١٢: ٤).

كل حياته قبل دعوة الله له لا نعرف عنها شيئاً.

إنها أيام مجهولة، أو غير مهمة فى التاريخ. فنحن لا نعرف ماذا كانت حياته فى أور. إنما حياته الحقيقية فى الكتاب تبدأ بدعوته، وأصبحت بهذه الدعوة جديرة بالتسجيل...

أول شئ كان فى دعوته، هو ترك البيئة الشريرة.

كانت أور ذات حضارة كبيرة، ولكنها كانت وثنية. وكان من صالح إبراهيم أن يترك تلك البيئة، لكى يحيا فى جو طاهر مع الله. ليس فقط المكان، إنما كل العشيرة، كل عواطف القرابة الجسدية أيضاً. وترك البيئة الخاطئة، تحدث عنه داود النبى فى المزمور الأول

عن الإنسان البار الذى "لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز١: ١). وقال أيضاً القديس بولس الرسول: "إن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥: ٣٣). وفى الشريعة أمر الرب بالبعد عن الخلطة الوثنية والنساء الغريبات. وقدم لنا الرب خبرة فى حياة سليمان وشمشون. فقيل "وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" (١مل١١: ٤). وهكذا أضاع شمشون نذره وأذله الأعداء نتيجة لخلطته الخاطئة مع النساء الغريبات (قض١٦).

وحسب أمر الله، ترك ابرام أرضه وبيت أبيه.

أولى هجرة :

وكان خروج إبراهيم من أرضه، أول هجرة مقدسة .

كانت هجرة بأمر الله. لم يسع إليها أبونا إبراهيم. ولم تكن تحقق إحدى شهواته أو مصالحه. بل لم يكن يعرف إلى أين يذهب (عب١١: ٨). بل كان الغرض أن يلتقى بالله فى مكان يمكن أن يعبده فيه.

مثلها هجرات أخرى ذكرها الكتاب وكانت للخير :

كهجرة رفقة التى تركت بيت أبيها لتذهب إلى اسحق زوجة له. "لكل عروس تطيع قول الكتاب "اسمعى يا ابنتى وانظرى واميلى أذنك، وانسى شعبك وبيت أبيك.." (مز٤٥: ١٠). ونفس هذه العبارة التى المزمور استخدمها القديس جيروم فى مجال رهبانى. فكل الرهبان أطاعوا نفس العبارة التى قيلت لأبينا إبراهيم "اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك، إلى الأرض التى أريك" (تك١٢: ١).

ونفس هذه الهجرة رمز للكنيسة التى هجرت أمور العالم لتتحد بالرب. ورمز أيضاً لحياة الغربة وحياة التكريس، والدعوة الإلهية، وتنفيذ مشيئة الله. كما قيل عنه " لما دعى أطاع" (عب١١: ٨).

وكانت دعوة مصحوبة بوعد، أى ببركة، وبركة شاملة:

البَرَكة :

قال له الرب "فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك١٢: ٢، ٣).

منذ أن خلق الله الإنسان، منحه البركة. هكذا بارك آدم وحواء ببركة السلطة والكثرة (تك١: ٢٨). ونفس البركة منحها لنوح وأولاده (تك٩: ١، ٢). وهذه هى البركة الثالثة منحها لإبراهيم وبنيه.

جعله الرب مباركاً. وأيضاً يكون بركة .

جميل أن يكون أبناء الله بركة للزمان الذى يعيشون فيه، وأيضاً للمكان الذى يحلون فيه. مثلما كان إيليا بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا. وإذا "كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص" طول مدة المجاعة (١مل١٧: ١٤). كما اقام ابنها من الموت.

كذلك كان أليشع بركة فى بيت الشونمية (٢مل٤).

وكان يوسف الصديق بركة فى بيت فوطيفار. ويقول الكتاب إن "الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف. وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل" (تك٣٩: ٥). بل كان يوسف أيضاً بركة لكل أرض مصر، فنجت من المجاعة، وأشبعت الشعوب المحيطة...

وفوق الكل كانت العائلة المقدسة بركة فى أرض مصر. وقال الرب "مبارك شعبى مصر" (أش١٩: ٢٥). وصار للرب "مذبح فى وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تخمها" وصار الرب يُعرف فى أرض مصر، ويعرف المصريون الرب" (أش١٩: ١٩، ٢١).

جميل أن الرب يبارك أولاده، ويبارك الناس بهم.

وهكذا كان الآباء يباركون أبناءهم. وكان الأبناء يتهافتون على بركة آبائهم، كما تنافس يعقوب وعيسو على نوال بركة أبيهما

اسحق (تك٢٧). وكما قدم يوسف الصديق ابنيه افرايم ومنسى لأبيه يعقوب لكى يباركهما. واهتم بوضع يد أبيه اليمنى على اكبرهما (تك٤٨: ٨-١٩).

وبالإضافة إلى بركة الآباء، كانت بركة الأنبياء والكهنة.

وأمثلتها كثيرة جداً فى الكتاب المقدس. وقد لقّن الرب موسى وهارون بركة يباركون بها الشعب. وأنتم تعرفون أن كل اجتماع فى الكنيسة إنما يختم بالبركة. فيقول الكاهن للشعب "محبة الله الأب، ونعمة ابنه الوحيد، وشركة وموهبة الروح القدس، تكون مع جميعكم" (٢كو١٣: ١٤).

المكـان :

على أن الله بارك أبانا إبراهيم فى المكان الذى اختاره الرب.

كانت بركة الرب له نتيجة لهجرته التى أمره الرب بها، وفى الموضع الذى عينه الرب. يذكرنا هذا بتلك العبارة التى قيلت فى سفر النشيد "..هناك أعطيك حبى" (نش٧: ١٢). ويقول الرب للمريمتين بعد القيامة "قولا لأخوتى أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يرونني" (مت٢٨: ١٠).

إن الله يحدد المكان الذى نراه فيه، والذى يعطينا فيه حب. فليس

كل مكان يمجد الله. وليس كل مكان نرى فيه الله.

يذكرنا هذا أيضاً بأن بعض الكهنة يختارون مكاناً يخدمون الله فيه. وقد يصرون على مكان معين، ويرفضون مكاناً آخر!!

لنا إبراهيم مثال للشخص الذى لا يختار لنفسه مكاناً. لا من جهة البقاء فى أور، ولا من جهة المكان الذى هاجر إليه، ولا المكان الذى يعيش فيه عندما حدث خلاف بين رعاته ورعاة لوط، بل ترك الأمر لحرية اختيار لوط (تك١٣: ٨، ٩).

المكان الذى يختاره الرب لنا، هو المكان الأصلح، إن كانت لنا حياة التسليم. وهكذا حدث حينما أختار الله لبولس الرسول أن يخدم فى مقدونية (أع١٦: ٦-١٠).

قال الرب لابرام "اذهب.. إلى الأرض التى أريك" (تك١٢: ١). ولم يره الأرض وقتذاك. وتركه يذهب وراءه إلى المجهول.

يكفى دعوة الرب أن نذهب وراءه. وليس لنا أن نتأكد من المكان. المكان الذى يكون الرب فيه، ويرعانا فيه، هو المكان الصالح.

قال الرب لسمعان واندراوس "هلمّ ورائى.." (مت٣: ١٩). ولم يقل لهما إلى أين. ولا هما سألاه إلى أين؟! وإنما تركا شباكهما وتبعاه. وقال لمتى -وهو فى مكان الجباية - "اتبعنى" (مت٩: ٩). ولم يقل له إلى أين يتبعه، ولا سأله متى عن ذلك. وإنما "قام وتبعه"...

وهكذا فعل أبونا إبراهيم، وكأنه يقول للرب: أنا لا أسألك يارب عن المكان الذى تقودنى إليه. يكفى أنك تكون معى فيه...

قد يحدد الرب مكاناً يختلى فيه مع من يحبه. كما اختار جبل سيناء حيث التقى مع موسى النبى، وسلّمه الشريعة، وحيث لمع وجه موسى بالنور، حتى احتاج إلى برقع ليستطيع الناس أن ينظروا إليه (خر٣٤: ٢٩-٣٥).

لقد اختار لوط لنفسه الأرض المعشبة، وكان اختياراً رديئاً.

وقال عنه الكتاب "كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم، يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط٢: ٨). ثم حدثت له هناك تجربتان: الأولى سبى سادوم، حيث وقع مع أهلها فى السبى، ونجاه ابرام الذى لم يختر لنفسه مكاناً (تك١٤: ١١-١٦). والثانية حرق سادوم ونجاته بأعجوبة بشفاعة إبراهيم.

نلاحظ فى دعوة إبراهيم مشكلة رفقائه. إذ أمره الرب ليس فقط أن يترك أرضه، وإنما أيضاً "بيت أبيه". ولكنه سلك فى ذلك بالتدرج. إذ أنه ترك أرضه. ولكنه كان معه أبوه تارح، ولوط ابن أخيه هاران (تك١١: ٣١)(تك١٢: ٥).. ولذلك لم يسترح إلا بعد أن انفصل عن هذين: عن أبيه تارح الذى مات فى حاران (تك١١: ٣٢)، وعن لوط ابن اخيه الذى تركه وسكن فى سادوم (تك١٣: ١٢).

ترك من أجله :

المهم أن أبانا إبراهيم بدأ حياته مع الله بترك أرضه وعشيرته.

ونفس الوضع كان بالنسبة إلى الآباء الرسل: لم يكتفوا بأن تركوا الشباك وتركوا السفينة كصيادين وتبعوا الرب (مت٣: ٢٠، ٢٢). وإنما قال القديس بطرس أيضاً للرب "ها قد تركنا كل شئ وتبعناك" (مت١٩: ٢٧).

وأنت ماذا تترك من أجل الرب؟ تترك حياتك الخاطئة بالتوبة، وتترك من مالك العشور والبكور وما يطلبه منك المحتاجون، وتترك شهوة الطعام بالصوم. وتترك من وقتك يوماً للرب، وأجزاء من وقتك للصلاة والعبادة. وتترك أصدقاء السوء كما يأمر المزمور (مز١). بل تترك أهل بيتك إن انطبق عليهم قول الرب "أعداء الإنسان أهل بيته" (مت١٠: ٣٦). أو إن انطبق عليهم قول الرب أيضاً "من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى" (مت١٠: ٣٧).

على أن أبانا إبراهيم لم تقتصر حياته على عنصر الترك من أجل الرب، إنما كانت له فضائل كثيرة .

فضائل إبراهيم :

أول ما نذكره فى فضائله: حياة الطاعة والتسليم. فلما دعاه

الرب إلى ترك أرضه وعشيرته، "أطاع وهو لا يعلم إلى أين يذهب" (عب١١: ٨). ولما أمره الرب أن يقدم ابنه وحيده اسحق محرقة، لم يتوان. بل أخذه معه، وأخذ الحطب والسكين، ورفع يده ليذبحه (تك٢٢: ٩، ١٠).

يتميز إبراهيم بفضيلة أخرى هى الكرم: فلما جاءه ثلاثة ضيوف، أختار عجلاً رخصاً وسلمه للغلام ليطبخه. بينما كان يكفى الثلاثة أن يذبحوا لهما ديكاً أو على الأكثر ماعزاً أو خروفاً. كما أمر بتقديم ثلاث كيلات دقيقاً لتصنع لهم خبزاً. بالإضافة إلى ما قدمه من لبن وزبد (تك١٨: ٦-٨). كل ذلك ليأكل الضيوف، ويأكل أيضاً الرعاة والخدم فرحاً بقدوم الضيوف.

يتميز إبراهيم أيضاً بالتواضع: فلما أتاه الضيوف، سجد لهم إلى الأرض وغسل أرجلهم، وقال لهم "آخذ كسرة خبز، فتسندون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم" (تك١٨: ٢-٤). كذلك سجد لبنى حث (تك٢٣: ٧) فى مناسبة شرائه أرضاً منهم لتكون مقبرة.

تميز إبراهيم أيضاً بالقوة والشجاعة. وظهر ذلك واضحاً فى قصة سبى لوط مع أهل سادوم. إذ يقول الكتاب "فلما سمع ابرام أن أخاه قد سبى، جرّد غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر، وتبعهم إلى دان، واسترجع كل الأملاك ولوطاً أخاه أيضاً"

(تك١٤: ١٤-١٦).

وفى ذلك الحادث **تميز بعفة اليد** أيضاً. فلما عرض عليه ملك سادوم أن يأخذ الأملاك التى استردها، رفض قائلاً "لا آخذ منك خيطاً ولا شراك نعل، فلا تقول أنا أغنيت ابرام" (تك١٤: ٢٣).

وتميز أيضاً باحترام الكهنوت (مع أنه كان كاهناً لأسرته). فسمح لملكى صادق كاهن الله العلى أن يباركه. وقدم له إبراهيم العشور (تك١٤: ١٨- ٢٠).

وتميز إبراهيم أيضاً بأنه **رجل المذبح**. ففى كل مكان ينتقل إليه، كان يبنى مذبحاً للرب، ويُصعد له محرقات(تك١٢). وكان **رجل الخيمة** التى تمثل فى سيرته **حياة الغربة**. إذ ليست لنا هنا مدينة باقية.

وكان يتميز أيضاً بالشفاعة فى غيره، والنجاجة مع الله فى ذلك.

وقد ظهر هذا بوضوح فى شفاعته فى أهل سادوم، بدالة كبيرة، حتى قال له الله أخيراً: إن وُجد فيها عشرة، لا أهلك المدينة لأجل العشرة (تك١٨: ٢٣-٣٢).

وتميز إبراهيم ببعده عن الخصومة. ويظهر ذلك فى علاقته مع لوط (تك١٣). وفى علاقته الطيبة مع زوجته سارة .

حدثتكم عن كثير من فضائل أبينا إبراهيم.

وأحدثكم الآن عن بعض ضعفاته، هذا القديس العظيم الذى لا نستحق تراب قدميه.. ولكن هكذا قدم لنا الكتاب حياة القديسين.

ضعفاته :

لم يقدمهم لنا كبشر معصومين من الخطأ، وإنما كبشر مثلنا غير أن النعمة عملت فى استعدادهم الشخصى فرفعتهم إلى مستوى عال.

وكمثال فإن إيليا النبى العظيم الذى بصلاته أغلق السماء وفتحها، قال عنه الكتاب "إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا" (يع٥: ١٧، ١٨). وبطرس الرسول مثلاً - مع كونه خاف وأنكر - لا يمنع ذلك من أنه كان قديساً عظيماً. ولكن له بعض ضعفات. وداود النبى أيضاً كانت له ضعفاته وخطاياه، ومع ذلك قيل إنه "كان قلبه كاملاً مع الرب إلهه" (١مل١١: ٤)...

وأبونا إبراهيم أبو الآباء، حدثت له تجربة أظهرت بعض ضعفاته:

يقول الكتاب "وحدث جوع فى الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع فى الأرض كان شديداً جداً. وحدث لما قرب أن يدخل إلى مصر، أنه قال لسارای امرأته إنى قد علمت

أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك" (تك١٢: ١٠- ١٣).

★أول خطأ هنا أن أبرام خاف من الجوع، ولم يؤمن أن الله يمكن أن يرعاه في الأرض التي أراه إياها (تك١٢: ١). وثاني خطأ أنه اعتمد على الذراع البشري، ولجأ إلى مصر لتحميه من الجوع..

وكانت مصر مشهورة جداً بخصوبة أرضها وبمحصولها الوفير من القمح. فكان يلجأ إليها سكان البلاد المجاورة في أيام المجاعات، **كما حدث فيما بعد أن لجأ إليها أبناء يعقوب حفيد إبراهيم في وقت المجاعة أيام يوسف الصديق** (تك٤٢: ١-٣). وقيل أيضاً - بعد قرون طويلة-إن مصر كانت مخزن غلال للامبراطورية الرومانية.

ولذلك فإن الله -- في أيام اشعياء النبي - قد منع النزول إلى مصر طلباً للمعونة.. فلو أن أبانا إبراهيم قد انتظر الرب في وقت المجاعة، لكان الله قد عاله كما عال إيليا النبي (١مل١٧: ٤، ٩)، وكما عال أيضاً الشعب في برية سيناء أربعين عاماً بالمن والسلوى.. لكنه خاف وتعجل الذهاب إلى مصر وقت المجاعة.

★ولم يذهب إلى هناك بأمر من الرب أو برضى منه.

فارق الأرض التي أمره الرب أن يذهب إليها، وانحدر

ليتغرب.. وكان في نزوله على عكس حفيده يعقوب الذي قال له الرب "أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر، لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضاً" (تك٤٦: ٣، ٤).

ولأن أبرام نزل على عكس مشيئة الله، أصابته تجربة أخرى. والعجيب أنه كان يعرف بأمر هذه التجربة.

ولذلك قال لإمرأته ساراي "يكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي.."

مادمت يا أبانا أبرام تعرف أنه ستصيبك تجربة بسبب جمال امرأتك، فلماذا ذهبت إلى هناك بقدميك وأنت تعلم؟! ولماذا دخلت إلى مصر، وأنت خائف مما سوف يحدث؟!

★الخوف من المجاعة جعله يلجأ إلى الذراع البشري لإعالته.

والخوف من الموت، جعله ينكر إن سارة امرأته ويقول إنها أختي.

حيلة بشرية بعيدة عن الصدق. والظاهر أنه اعتادها فكررها مرة أخرى حينما ذهب إلى جرار، وعرّض امرأته أن يأخذها أبيمالك الملك على اعتبار أنها أخت أبرام وليست زوجته.

والدليل على أنها أصبحت عادة له، قوله لأبيمالك "حدث لما

أتاهنى الرب من بيت أبى، أنى قلت لها: هذا معروفك الذى تصنعين إلىّ: فى كل مكان نأتى إليه، قولى عنى: هو أخى" (تك٢٠: ١٣).

وقد حاول أن يغطى على هذه الحيلة البشرية، حتى لا يقال عنه إنه كذب. فقال فى قصته مع أبيمالك "وبالحقيقة هى أختى ابنة أبى، غير أنها ليست ابنة أمى، فصارت لى زوجة" (تك٢٠: ١٢).

كان مثل هذا الزواج مسموحاً به فى العصور الأولى للبشرية. ولكنه ألغى فى شريعة موسى، كما أمر الرب فى سفر اللاويين (لا١٨: ٩).

★فى قوله "هى أختى"، وعدم قوله "وهى امرأتى أيضاً" استخدم أسلوب أنصاف الحقائق الذى يفهم على أنه كذب.

وهنا كان يقصد فعلاً أنهم لا يفهمون أنها زوجته ...

ولمقاومة أنصاف الحقائق التى تعتبر كذباً، حسناً أنه فى ساحة القضاء يُقسم الشاهد بأن "يقول الحق كل الحق، ولا شئ غير الحق". فليس المهم فقط حرفية الألفاظ التى يقولها الشخص مدعياً أنها صدق. بل الأهم هو ما يفهمه السامع من قول القائل.

والذى فهمه فرعون (تك١٢)، والذى فهمه أبيمالك (تك٢٠) أن سارای ليست امرأة أبرام. لذلك أخذها كل منهما لتكون زوجة له.

★وبهذا الأسلوب سبّب أبرام عثرة لفرعون وعثرة لأبيمالك. واستحق أن يوبخه كل منهما على تصرفه.

"فدعا فرعون أبرام وقال: ما هذا الذى صنعت بى؟! لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك؟ ولماذا قلت هى أختى، حتى أخذتها لى لتكون زوجتى؟" (تك١٢: ١٨، ١٩). وأيضاً نفس التوبيخ سمعه من أبيمالك: "دعا أبيمالك إبراهيم وقال له: ماذا فعلت بنا، وبماذا أخطأت إليك، حتى جلبت علىّ وعلى مملكتى خطية عظيمة؟! أعمالاً لا تُعمل عملت بى!" (تك٢٠: ٩).

حقاً إنه لأمر مخجل، أن رجلاً علمانياً، وأممياً ليس من شعب الله يوبخ نبى الله العظيم، الذى قال له الرب "وتكون بركة" (تك١٢: ٢)

★أبونا إبراهيم لم يسبب فقط عثرة لفرعون ولأبيمالك، إنما أيضاً عرّضهما لغضب الله.. على غير ذنب منهما.

وهكذا فى حالة فرعون قرأنا أنه كُتب "فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارای إمرأة أبرام" (تك١٢: ١٧).

وفى قصة أبيمالك قيل "فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها، فإنها متزوجة ببعل" وقال أبيمالك" يا سيد أأمة بارة تقتل؟! ألم يقل هو لى إنها أختى، وهى أيضاً نفسها قالت هو أخى. بسلامة قلبى ونقاوة يدى فعلت

هذا". فقال له الله في الحلم: أنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا. وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطئ إليّ. لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي، فيصلي لأجلك فتحيا. وإن كنت لست تردها، فاعلم أنك تموت أنت وكل الذين لك" (تك٢٠: ٣-٧).

★وأيوبنا إبراهيم لم يسبب فقط عثرة وغضباً من الله لفرعون ولأبيمالك، إنما أيضاً سبب عثرة لزوجته وتجربة.

في قوله لها: "قولي أنك أختي". وفي طاعتها له وقولها "هو أخي". وفي تعرضها مرة أن يأخذها إلى بيت فرعون(تك١٢: ١٥). ومرة أخرى "أرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة" (تك٢٠: ٢).

مسكينة هذه المرأة القديسة، فيما تعرضت له من تجارب وعثرات بسبب خوف زوجها من القتل، وبسبب طاعتها له. لاشك أنها كانت في ألم وحرج شديدين، وفي خوف مما كان ممكناً أن يحدث!!

والعجيب أن أبرام في تضحيته بامرأته، التمس لنفسه عذراً، فقال إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله، فيقتلونني لأجل امرأتي" (تك٢٠: ١١).

يا أبانا أبرام، ومادمت تعلم أن ذلك الموضع ليس فيه خوف الله، فلماذا ذهبت إليه؟! ولماذا تعرض نفسك للحيل البشرية وللكذب؟ وكيف تضحي بامرأتك لكي يستبقوك أنت؟! وماذا كان

شعورك وهم يأخذون إمراتك أمامك، لتكون زوجة لرجل آخر؟!

★حقاً إن خطية تقود إلى خطية أخرى، بل إلى سلسلة من الخطايا.

الذهاب إلى مكان ليس فيه خوف الله، يؤدي إلى الخوف من الموت. وهذا الخوف يؤدي إلى التحايل البشري. والتحايل يؤدي إلى الكذب، والكذب يؤدي إلى العثرة، والعثرة تؤدي إلى التضحية بالزوجة، من أجل حرصك على استبقائك..

★أبرام تخلى عن زوجته لأجل نفسه. ولكن الله لم يتخلَ عنها.

تولى قيادة الموقف، وتدخل لحماية سارة، هذه التي سوف يأتي من نسلها المخلص والفادي. حماها من ملكين إشتهيا هذه العجوز الجميلة، وأخذاها لتكون زوجة، في غير اكتفاء بما عندهما من زوجات! فضرب فرعون، وهدد أبيمالك بالموت، وأعيدت سارة سالمة إلى بيت زوجها الخائف .

★عجيب قول أبينا إبراهيم لزوجته سارة "قولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك"

أية حياة هذه يا أبي، وأي خير يكون لك، حينما تؤخذ زوجتك منك إلى بيت رجل آخر؟! وهل تكون لك راحة في ضميرك؟! كان خيراً لك لو أضطررت إلى الذهاب إلى بلد آخر ليس فيه خوف الله، أنك تذهب وحدك بدون زوجتك، مادمت غير قادر على

حمايتها، ومادمت خائفاً على نفسك!!

★إنها جرأة منى أننى كلمتك بهذه الصراحة، بينما الله فى حنوه، العارف بضعف طبيعتنا، لم يتوجه إليك بأى لوم.

بل على العكس قال لأبيمالك عنك "رد امرأة الرجل، فإنه نبى. فيصلى لأجلك فتحيا" (تك٢٠: ٧).

حقاً، كما قال داود النبى "أقع فى يد الله، ولا أقع فى يد إنسان، لأن مراحم الله كثيرة" (٢صم٢٤: ١٤).

وفى حنوه أيضاً، قام الرب – عوضاً عنك – بحماية سارة مادمت لم تستطع أن تحميها، بل فضلت ذاتك عليها.

سامحنى يا أبى القديس، فإن لك فضائل كثيرة تغطى على هذه الضعفات التى كشفها ذهابك إلى مصر، وإلى أرض جرار ...

★نقطة أخرى أقولها فى تجربة سارای فى مصر، وهى قول الكتاب: **"فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال"** (تك١٢: ١٥، ١٦).

عجيب أن أبرام قبل كل هذا (الخير) من فرعون!! أكان هذا يغنى عن سارة زوجته؟! أما كان ثمراً لسارة؟! وهل فى كل يوم كان أبرام ينظر إلى هذا الغنى، كان يتكر سارة فيتألم؟! أم كان

أبرام يتضرع فى صلواته أن ينجيه الرب من هذه التجربة. يقيناً إنه كان يصلى، وإن كان الكتاب لم يذكر.

على أن أبرام فى نضوجه الروحى، رفض مثل هذا الغنى من ملك سادوم بعد انقاذه سبى سادوم. فقال له ملكها "أعطنى النفوس. وأما الأملاك فخذها لنفسك". "فقال أبرام لملك سادوم: رفعت يدى إلى الرب الإله العلى مالك السماء والأرض، لا آخذ (منك) لا خيطاً ولا شراك نعل، ولا من كل ما هو لك. فلا تقول: أنا أغنيت أبرام" (تك١٤: ٢١-٢٣).

★ملاحظة أخرى أحب أن أقولها فيما تعرضت له سارة من تجربة :

وهى عمل الحاشية المحيطة بالملوك وتظن أنها مخلصة!

قيل فى ذلك "إن المصريين رأوا المرأة (سارة) أنها حسنة جداً (أى جميلة جدا) ورآها رؤساء فرعون (أى الرؤساء العاملين عند فرعون)، ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون" (تك١٢: ١٤، ١٥)... عجباً على هؤلاء الرجال الذين يظنون إرضاء فرعون بأن يجلبوا له أمرأة جميلة لتضم إلى بيته كزوجة، مع أنها امرأة غريبة...

وهنا أذكر أن سارة الجميلة كانت عجوزاً .

كان الفرق فى العمر بينها وبين زوجها أبرام عشر سنوات. ففى حبلها باسحاق، كان عمر أبرام مائة سنة وعمرها تسعين(تك١٧: ١٧).

وحينما خرج أبرام من أرضه وبيت أبيه كان عمره ٧٥ سنة (تك١٢: ٤). إذن كان عمرها وقتذاك ٦٥ سنة. وغالباً حينما ذهبت إلى مصر كان عمرها حوالى السبعين. أما حين ذهبت إلى جرار فى (تك٢٠: ٢) بعد وعد الله لها بالنسل فى (تك١٧: ١٧) وفى (تك١٨: ١١-١٣) كانت فى حوالى التسعين من عمرها ولذلك تعجبت من وعد الله لها وقالت "أبالحقيقة ألد وأنا قد شخت" (تك١٨: ١٣). ومع ذلك كانت جميلة جداً، فأخذها أبيمالك لتكون له زوجة!

* * *

تجربة أخرى تعرض لها أبونا إبراهيم. وهى مشكلته مع لوط.

* * *

نسل إبراهيم :

على الرغم من محبة الله لأبينا إبراهيم، إلا أنه مرت سنوات طويلة لم يعطه فيها نسلاً. عندما خرج من بيت أبيه كان عمره ٧٥ سنة ولم يكن له نسل. ووعده الله قائلاً "أجعلك أمة عظيمة" (تك١٢: ٢). وابرام قال للرب "إنك لم تعطنى نسلاً" (تك١٥: ٣).

حقا إن "البنون ميراث من عند الرب" (مز١٢٧: ٣).

★وهذه حقيقة يوضحها لنا الكتاب. مثال ذلك راحيل زوجة يعقوب:

★يقول الكتاب "فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب، غارت راحيل من أختها، وقالت ليعقوب: هب لى بنين، وإلا فأنا أموت. فحمى غضب يعقوب على راحيل، وقال: ألعلى مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن" (تك٣٠: ١، ٢). وفيما بعد قال الكتاب "وذكر الله راحيل، وسمع لها، وفتح رحمها" (تك٣٠: ١١). وقبل ذلك قيل "ورأى الرب أن ليئة مكروهة، ففتح رحمها" (تك٢٩: ٣١).

★إذن يأتى البنون حسب مشيئة الله: حنة امرأة القانه، التى صارت فيما بعد أم صموئيل، وكانت عاقراً صلت إلى الله وهى مُرة النفس، وقالت "إن أعطيت أمتك زرع بشر، فأنا أعطيه للرب كل أيام حياته" (١صم١: ١٠- ١٢).

★وداود قال له الرب "أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك.. هو يبنى بيتاً لأسمى. إن تعوّج، أؤدبه بقضيب الناس.. لكن رحمتى لا تنزع منه" (٢صم٧: ١٢- ١٥).

★وهكذا وعد الله ابرآم أن يعطيه نسلا، وكرر الوعد مراراً.

لكن ابرام لما طالت عليه المدة، لجأ إلى العمل البشرى، وليس المشيئة الإلهية.

قالت له سارای "هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة. أدخل على جاريتى، لعلى أرزق منها نسلاً" (تك١٦: ٢). فأخذ هاجر فعلا. دخل عليها وللحال حبلت بابن.

العجيب إن الطرق البشرية تأتى بنتيجة سريعة أكثر من مشيئة الله.

نجحت السنة الأولى مع هاجر أكثر من عشرات السنوات مع سارای. لكنها حبلت ليست بمشيئة الله، بل بالطرق البشرية. لذلك قال له الرب "إن سارة امرأتك تلد ابناً، وتدعو اسمه اسحق. وأقيم عهدى معه" (تك١٧: ١٩).

هاجر هذه كانت جارية سارای، وفى حبلها يسجل لنا الكتاب حقيقة مُرة وهى **لما رأت أنها حبلت، صغرت مولاتها فى عينيها** (تك١٦: ٤).

حقاً إن سارای امرأة قديسة. لكن لما رأت أنها صغرت فى عينى جاريتها، عرفت كيف تؤدبها، فأذلتها. ليس سهلاً أن امرأة تقع فى يد امرأة أخرى..! إنها لم تذلها فقط، بل غضبت على زوجها ابرآم لأول مرة، وقالت له "ظلمى عليك. يقضى الله بينى وبينك" (تك١٦: ٥). وابرآم الرجل المسالم، قال لها "هوذا جاريتك بين يديك. أفعلى بها ما يحسن فى عينيك. فأذلتها فهربت من وجهها.

عبارة "لما حبلت صغرت مولاتها فى عينيها" قليلنا نحن من

أمثالها فى مجال الرعاية. يحدث أن أحد الآباء الكهنة يبدأ أن يكون له شعباً، حينئذ يصغر أسقفه فى عينيه!! أو أى خادم بصبيه نجاح، يصغر الكبار فى عينيه.

هربت هاجر، ولم يتركها الله. ظهر لها ملاك الرب وسألها عن حالها، فقصت عليه قصتها. فقال لها "يا هاجر جارية سارای.. ارجعى إلى مولاتك، واخضعى تحت يديها".

أى أن الله ساند سارای، وما أكثر المواقف التى ساندها فيها.

وقف معها ضد فرعون، وضد أبيمالك، وضد هاجر. كانت قديسة صامتة وهادئة. وحتى لما خرجت عن هدوئها وغضبت، ساندها أيضاً. وأرسل ملاكه يقول لهاجر: ارجعى إلى مولاتك، واخضعى تحت يديها. لا تنسى أنك جارية سارای.

ومع ذلك سيكون لك ابن، ويدعى اسماعيل "ويكون إنساناً وحشياً. يده على الكل. ويد كل واحد عليه" (تك١٦: ١١، ١٢).

المهم أن هذه التجربة البشرية – مع هاجر – لم تنجح. لأن مشيئة الله كانت أن يرزق ابراهيم بنسل من سارة...

للعجيب أن ابانا إبراهيم كان أحياناً يخطئ ثم يعتاد الخطأ.

فى تجربته مع فرعون، قال لسارة: قولى أنك أختى.. ثم عاد وكرر نفس الأمر فى تجربته مع أبيمالك. كأنها صارت له عادة.

وأيضاً في موضوع النسل: دخل تجربة النسل بطريقة بشرية مع هاجر.. ومع أن الله رفض نسله من غير سارة، عاد فيما بعد، **وأخذ قطورة زوجة له.** لم يكن ذلك ليكون له نسل، لأنه قد صار له نسل باسحق. ولكن لأن نسله لم يكن بعد قد صار كعدد نجوم السماء وتراب الأرض، والرمل.

فبعد موت سارة بثلاث سنوات، وكان عمره ١٤٠ سنة أخذ قطورة. سارة ماتت وعمرها ١٢٧ سنة (تك٢٣: ١). وهو أكبر منها بعشر سنوات، أي كان عمره عند موت سارة ١٣٧ سنة. بعد ذلك يقول الكتاب: "وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة. فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحاً. وولد يقشان شبا ودادان. وكان بنو دادان أشوريم ولطوشيم ولأميم. وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعة. جميع هؤلاء بنو قطورة" (تك٢٥: ١-٤).

حقاً إن الطرق البشرية قد تأتي بنتائج سريعة، ليس من الله!

ولكن كل هذه النتائج لم تكن حسب مشيئة الله. ولذلك يقول الكتاب "وأعطى إبراهيم اسحق كل ما كان له. وأما بنو السراري التي كانت لإبراهيم، فأعطاهم عطايا، وصرفهم عن اسحق ابنه.. وهو بعد حي" (تك٢٥: ٥، ٦).

ممكن أن الطرق البشرية تأتي بأشوريم، ولطوشيم، ولأميم. ويمكن أن تأتي بيقشان وودان. ولكن لا تأتي باسحق. كله مجهود بشري ضائع لم يباركه الرب. ولم يكن له من كل هؤلاء نسل كنجوم السماء ورمل البحر.

إبراهيم كان مشكلته أن يكون له نسل. وكان النسل وقتذاك بركة عظيمة.. حالياً الناس يمنعون النسل (عكس أيام أبينا إبراهيم). أو يلجأون إلى النسل بطرق بشرية أخرى - ليس من الجواري والسراري - بل بالعمليات الجراحية، أو البويضات المخصبة. وطبعاً البويضة المخصبة التي تأخذها امرأة من البنك وتضعها في رحمها هي خطية ١٠٠%. فالبويضة ليست منها. إذن ليست هي الأم الحقيقية. كما أنها مخصبة من رجل غير زوجها. فلا يجوز أن تدخل في رحمها...

نعود إلى قصتنا فنقول: لما وعد الله إبراهيم بنسل من سارة "سقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه: هل يولد لابن مائة سنة؟! وهل تلد سارة، وهي بنت تسعين سنة؟! لم يكن أمامه قول الإنجيل "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله. لأن كل شيء مستطاع عند الله" (مر١٠: ٧).

وأيضاً لما قال الله لسارة أنه سيكون لها نسل، "ضحكت في

باطنها قائلة: أبعد فنائى يكون لى تنعم، وسيدى قد شاخ؟! فسأل الرب إبراهيم لماذا ضحكت سارة..؟ هل يستحيل على الرب شئ؟ (تك١٨: ١٢، ١٣). حينئذ أنكرت سارة قائلة لم أضحك، لأنها خافت.. فقال لا. بل ضحكت.

- عجيب أنها كذبت فى حضرة الله. ولكن القديسين لهم أيضا هفوات لم يحاسبهم عليها الله، كما قال داود "إن كنت للآثام راصداً يارب، يارب! من يثبت؟! لأن من عندك المغفرة" (مز١٣٠).

- قالت "أبعد فنائى يكون لى تنعم، وسيدى قد شاخ؟! بعد فنائها أى بعد أن كان جسمها لا ينتج بويضات. "يكون لى تنعم" أى يكون لى ابن الفرح بولادته.

أما عبارة "وسيدى قد شاخ" فقد رد عليها ابرام عملياً لما أخذ قطورة وأنجبت له مجموعة من الأبناء بعد ذلك بأربعين سنة.

- وكأنه يقول : أنا لم أشخ بعد.. وحتى إن كان إبراهيم قد شاخ، فبذرة الحياة كانت لا تزال موجودة فيه. عجيب أن البعض يستصعبون عمل الله ومعجزاته، ويضحكون فى سرّهم.

- طبعاً المرأة العاقر، من المستحيل - حسب الطبيعة - أن تلد. ولكن الله قادر على أن يجعلها تلد. وسفر اشعياء يقول "ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد، واشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض. لأن بنى

المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل، قال الرب" (أش٥٤: ١).

العجيب أن العواقر اللاتى منحهن الرب أولاداً، صار أولادهن من أعظم الأبناء .

*البصابات كانت عاقراً وعجوزاً أيضاً. وقد منحها الله أن تلد يوحنا المعمدان الذى صار أعظم من ولدته النساء (مت١١: ١١).

*حنة امرأة القانه التى كانت عاقراً، وكانت ضرتها فننه تغيظها، ولدت ابناً من أعظم الأنبياء هو صموئيل الذى كان أول من مسح الملوك بقنية الدهن التى معه .

*وراحيل التى كانت عاقراً، أنجبت يوسف الذى صار مثالاً للطهارة (تك٣٩)، والذى كان الله معه وكان إنساناً ناجحاً، وصار أباً لفرعون ومتسلطاً على كل مصر.

لاحظوا فى ذلك الزمان أن العقم كان لاصقاً بالمرأة .

حالياً نسمع عن رجال مصابين بنفس العقم .

تجربة إسحق :

منح الله ابناً لإبراهيم هو اسحق. ولما كبر، قال له "خذ ابنك وحيدك الذى تحبه، اسحق.. وأصعده محرقة على الجبل الذى أقول لك عنه" (تك٢٢: ٢).

كانت تجربة فوق الطبيعة، وأصعب تجربة تمر بأب انتظر هذا الابن، حتى وُلد له في شيخوخته! فكيف يذبحه بيده؟!

ولكن إبراهيم لم يكن يناقش الله، بل كان يطيع في إيمان.

فبكر إبراهيم صباحاً جداً (قبل أن تصحو سارة من نومها)، وأخذ معه حطب المحرقة والنار والسكين. وذهب لينفذ أمر الله في ابنه.. وفي كل ذلك ما كان يشك في محبة الله ورعايته له. وما كان يشك أيضاً في عودة ابنه اسحق إليه!!

ولم ينكسر قلبه حينما قال له اسحق "هوذا النار والحطب. ولكن أين الخروف للمحرقة؟" (تك٢٢: ٧). ولم تتفتت أحشاؤه وهو يربط ابنه وحيده ويضعه على المذبح فوق الحطب!

لقد نفذ وصية الله قبل أن يقولها الرب يسوع، وهي:

"من أحب ابناً أو ابنة أكثر مني، فلا يستحقني" (مت١٠: ٣٧).

لذلك منعه الرب من ذبح ابنه تكفي نيته الصادقة.

ومنحه البركة أن يكون نسله كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر (تك٢٢: ١٧). مع بركات أخرى كثيرة.

لـــوط

(مَع عَمـــه إبراهيـم)

الفرق بينهمَا :

يقدم لنا الكتاب المقدس نوعين من الشخصيات:

★النوع الأول نوع مقصود بذاته، له أهميته، مثل أبينا إبراهيم أبي الآباء، الذي كان اسمه أولاً ابرام، والذي ذكر الكتاب سيرته وما مرّ بحياته من أحداث إلى يوم وفاته ودفنه.

★أما النوع الثاني من الأشخاص، فقد ذُكرت حياته عرضاً على هامش حياة شخصية مهمة. ومن هذا النوع لوط بن أخي إبراهيم.

★ابرام دعاه الله أن يخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه إلى الأرض التي يريه الله أياها (تك١٢: ١). ولوط لم يتلقَ

دعوة من الله. ولكن عمه ابرام – لما خرج – أخذه معه (تك١٢: ٥).. ولعلني هنا أسأل : مادام لوط كان من عشيرة ابرام ومن بيت أبيه، فكيف أخذه؟ وقد كان ذلك ضد أمر الله له أن ينفصل عن كل عشيرته!

*نال ابرام بركة من الله في دعوته. وقال له الله "أباركك، وأبارك مباركيك.. وتكون بركة" (تك١٢: ٢، ٣). ولم يذكر الكتاب أن لوطاً نال مثل هذه البركة.

*كان ابرام في كل مكان يحل فيه يبني مذبحاً للرب، ويدعو باسم الرب (تك١٢: ٨) (تك١٣: ١٨). أما لوط فلم يقل الكتاب إنه بنى مذبحاً للرب، أو أنه دعا باسم الرب. لعله كان فقط ينتفع ببركة مذبح ابرام عمه.

*ذكر الكتاب أكثر من مرة، أن الله ظهر لابرام وكلمه، وأيضاً قبل شفاعته. ولم يذكر مرة واحدة أن الله ظهر للوط أو كلمه. وفي انقاذه من سادوم كلمه ملاك" (تك١٩). وكان ذلك بشفاعة إبراهيم (تك١٩: ٢٩).

*لما كثرت أغنامهما ومواشيهما وأملاكهما، ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً، واعتزلا.. أختار لوط لنفسه، الأرض المعشبة (تك١٣: ١١). أما ابرام فأخذ الأرض التي أختارها له الرب (تك١٣: ١٤، ١٥).

*لم يذكر لنا الكتاب حياة لوط ولا شيئاً عن بره، إنما ذكر عنه القديس بطرس الرسول إنه كان "باراً"، وكانت نفسه تتعذب يوماً فيوماً بمناظر الناس الأشرار في سادوم (٢بط٢: ٨). ولعله كان ضمن العشرة الأبرار الذين اتفق الرب مع إبراهيم إنهم – لو وجدوا في سادوم– لا يهلكها من أجلهم (تك١٨: ٣٢).. على أنهم لم يوجدوا.

*في كل مرة كان يقع لوط في خطر (تك١٣: ١٢-١٦) أو يتعرض لخطر (تك١٨، ١٩)، كان عمه إبراهيم هو الذي ينقذه.

*نسل إبراهيم باركه الرب، فصار عدده كنجوم السماء (تك١٥: ٥). أما نسل لوط فلا نعرف عن أبناء أولاده شيئاً. أما الموآبيون والعمونيون أبناء ابنتيه، فلم يدخلا في عداد شعب الله، كأولاد للخطيئة (تك١٩: ٣٦-٣٨).

لم تسعهما الأرض :

تعرض أبونا إبراهيم لتجربة من فرعون في ذهابه إلى مصر (تك١٢: ١٠-٢٠). وتعرض لتجربة أخرى من أبيمالك ملك جرار (تك٢٠). وتعرض لتجربة ثالثة في حياة لوط معه. إذ لما اتسعت أملاكهما، يقول الكتاب "لم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً" (تك١٣: ٦).

عجيب هذا الأمر إن الأرض لا تحتمل إثنين أن يسكنا معاً!!

★حدث هذا من أول البشرية مع قايين وهابيل (تك٤). وكانا أخوين شقيقين. وكان السبب في ذلك، الغيرة التي اشتعلت في قلب قايين، لأن الله لم يقبل قربانه، وقبل ذبيحة هابيل.

★وأيضاً يعقوب وعيسو لم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً، وكانا شقيقين وتوأمين، وقال عيسو "قربت أيام مناحة أبي، فأقتل يعقوب أخي" (تك٢٧: ٤١). وكان السبب هو التنافس على البركة. وهرب يعقوب من وجه أخيه عيسو.

★ولم تحتمل الأرض يوسف الصديق وأخوته أن يسكنا معاً، فباعوا أخاهم يوسف عبداً للاسماعيليين (تك٣٧: ٢٥). وكان السبب هو غيرتهم من أحلامه ومن إكرام أبيه له أكثر منهم.

★ولم تحتمل الأرض داود الملك وابنه ابشالوم أن يسكنا معاً، لأن أبشالوم اشتهى أن يكون له الملك بدلاً من أبيه، فكوّن جيشاً وحاربه (٢صم١٥).

★ولم تحتمل الأرض شاول الملك وداود زوج ابنته أن يسكنا معاً، إذ كان شاول يغار من داود بعد انتصاره على جليات، وكان ينظر إليه كمنافس له في الملك (١صم١٨: ٧-١٠).

★كذلك لم تحتمل الأرض أن يسكن الملك هيرودس والقديس

يوحنا المعمدان معاً، لأن القديس المعمدان كان يوبخ هيرودس قائلاً له: لا يحل لك أن تأخذ لك امرأة أخيك (مت١٤: ٣-١١).

★والأمثلة كثيرة . **ومنها ابرام ولوط، لم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً، بسبب الغنى والاتساع .**

وكان الحل هو أن يعتزلا، بدلاً من استمرار الخصومة بسبب التنافس على أرض الرعى. وهكذا قال ابرام للوط ابن أخيه "لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رعاتي ورعاتك، لأننا أخوان. أليست كل الأرض أمامك؟ أعتزل عني. إن ذهبت شمالاً، فأنا يميناً. وإن يميناً فأنا شمالاً" (تك١٣: ٨).

كان إعتزالاً، مع الاحتفاظ بالمحبة. ولم تكن في ذلك خطيئة.

انفصلا عن السكنى معاً، ولم ينفصل قلب ابرام عن لوط، بدليل أنه لما وقع لوط في السبي، جمع ابرام رجاله وذهب فأنقذه (تك١٤: ١٣-١٦).

وكان نبلاً من ابرام، أنه في انفصال لوط عنه، ترك له الحرية في اختيار الأرض التي تعجبه. فاختار لوط له أفضل الأرض للرعي!

"أختار لوط لنفسه" (تك١٣: ١١). ولم يكن اختياره سليماً!!

اختار أرضاً "جميعها سقي" أرضاً معشبة، قال عنها الكتاب إنها

كانت "كجنة الله، كأرض مصر" (تك١٣: ١٠). أختار الأرض الصالحة لغنمه وبهائمه، وليست الأرض الصالحة لحياته الروحية ولمستقبله الأبدى!! اهتم بنوعية الأرض، وليس بسكانها! بينما ينصح المثل أن تختار الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. اختار لنفسه، ولم يطلب من الله أن يختار له..!

أما ابرام فمن بدء القصة، كان قد اختار الأرض التى قال له الرب عنها "الأرض التي أريك إياها" (تك١٢: ١). وحتى فى هذه المناسبة، صمت ابرام منتظراً مشيئة الرب. إلى أن قال له الله بعد اعتزال لوط عنه "ارفع عينيك، وانظر إلي الموضع الذى أنت فيه.. لأن جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيها ولنسلك.." (تك١٣: ١٤، ١٥).

وحينئذ "نقل ابرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطة ممرا، التى فى حبرون، وبنى هناك مذبحاً للرب" (تك١٣: ١٨). وعند بلوطة ممرا ظهر له الله فيما بعد، وأعطاه وعداً، وحاوره فى موضوع سادوم (تك١٨: ١، ٢٠).

ما أصعب أن يختار الإنسان لنفسه. وما أعظم البركة التى ينالها، حينما يحيا حياة التسليم ويترك الرب يختار له.

والآن لننظر ماذا حدث للوط لما اختار منطقة سادوم؟

فى سادوم :

يقول الكتاب لوط سكن فى مدن الدائرة، ونقل خيامه إلى سادوم. وكان أهل سادوم أشراراً وخطاة لدى الرب جداً"(تك١٣: ١٢، ١٣).

كانت مأساة ونقطة تحول: أن يترك لوط عمه القديس ابرام.

بتركه ابرام، ترك مذبح ابرام، وترك قدوة ابرام الصالح، وترك المكان الذى يدعو فيه ابرام باسم الرب، بل ترك المكان الذى يظهر فيه الرب لابرام ويكلمه! ومنذ أن ترك ابرام، بدأت متاعبه. ولم ينفعه الخير المادى الذى فى أرض سادوم، مادام قد ترك الخير الروحى.

حقاً إن مكان الخطية له أغراءاته! ولكنها اغراءات مادية!

أرض منظرها الخارجى "كجنة الله، كأرض مصر" إنها - كما قال الرب فيما بعد - "كالقبور المبيضة تظهر من الخارج جميلة، وفى الداخل عظام نتنة" (مت٢٣: ٢٧).

لم يزن لوط الأمر بميزان جيد، ولم يضع فى إحدى كفتى ميزانه أن أهل لوط أشرار وخطاة جداً. وفى ذلك ماذا يكون تأثيرهم عليه وعلى أولاده وبناته، بل أيضاً عليه شخصياً!! لم يضع أمامه أن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥: ٣٣).

ما أصدق داود النبي فيما بعد حينما قال "طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز١: ١).

أما لوط فإنه عاش مع أولئك الأشرار والمستهزئين "ونقل خيامه إلى سادوم". وزوّج بناته من أولادهم. وصار له "أصهار" من شعب سادوم (تك١٩: ١٤).

ولم نسمع أن لوطاً بنى مذبحاً للرب فى سادوم .

ولم نسمع أنه دعا باسم الرب هناك، كما كان يفعل عمه إبراهيم فى كل مكان يحل فيه. لقد نُسِىَ اسم الله والمذبح فى سادوم. وبعُد عن الطاقة الروحية!!

ولم تكن للوط رسالة روحية فى سادوم .

كما لو كانت رسالته فقط هى رعى الغنم والمكسب المادى!

وماذا عن تأثيره الروحى فى أهل سادوم؟ إنه لم يؤثر فيهم. بل هم الذين أثروا عليه. وكما قال عنه معلمنا القديس بطرس الرسول "كان البار – بالنظر والسمع ، وهو ساكن بينهم – يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط٢: ٨). بل قال أكثر من هذا إنه كان "مغلوباً من سيرة الأرذياء فى الدعارة" (٢بط٢: ٧).

كان بره براً سلبياً. إنه لم يقع فى مثل دعارتهم .

اكتفى بأن يعذب نفسه بمناظرهم فى الدعارة. أما إيجابياً، فلم تكن له رسالة روحية بينهم. لم يغير من طباعهم ومن فسادهم شيئاً. ولماذا لم يخرج من بينهم حرصاً على روحياته؟! لماذا بقى معذباً بالنظر والسمع؟ يبدو أن الشيطان يقيم روابط فى تلك الأماكن ليس من السهل الخروج منها. ربما كان من تلك الروابط المصاهرة، وجاذبية الأرض السقى المعشبة التى "كجنة الله"!

وسمح له أن يخرجه من أرض سادوم مسبياً فى حرب كدر لعومر .

سُبى أهل سادوم، ومن بينهم لوط. وفقد كل أملاكه فى السبى. كان عاجزاً عن انقاذ نفسه، فتدخل عمه ابرام، وأنقذه وأعاد كل الأملاك التى أخذت فى السبى" (تك١٤: ١٦).

كان درساً للوط. ولكنه لم ينتفع به. وللأسف عاد إلى سادوم.

ولم يذكر الكتاب كلمة شكر واحدة قالها لوط لعمه ابرام. كما لم يذكر أنه أبدى رغبة لعمه أن يعود إلى عشرته، أو أنه اشتاق إلى مذبحه. ولم يعترف بأنه أخطأ إذ اختار سادوم وسكن فيها.

بل عاد إلى سادوم. وازداد أهل سادوم شراً. ولم يأخذوا درساً من وقوعهم فى السبى. ولم يرجعوا إلى الله.

وبعد عودة سادوم من السبى، يحكى لنا الكتاب أخباراً سارة عن ابرام: كيف أنه أخذ وعداً آخر من الله. وكيف أنه آمن فحُسب له

ذلك براً (تك١٥). وكيف أن الله أعطاه عهد الختان (تك١٧). وأعطاه وعداً أن يولد له ابن من سارة ويباركها ويكون منها أمم وملوك وشعوب (تك١٧: ١٦). كذلك ظهر الرب لإبراهيم عند بلوطة ممرا مع ملاكين. ووعد سارة بابن (تك١٨: ١، ١٠).

ثم حدّث الرب إبراهيم عن سادوم، وأن خطيتهم قد عظمت جداً.

وكانت سادوم معرضة كلها للإفناء، ولوط ساكن فيها.

أهل لوط لم يأتهم الإنقاذ ولا الشفاعة فيهم من لوط الساكن بينهم، بل أتت الشفاعة من الخارج، من إبراهيم. وليست شفاعة فى الكل، بل إنقاذ الأبرار الذين فى المدينة، لو أنقاذ المدينة كلها إن وُجد فيها عشرة فقط من الأبرار (تك١٨: ٣٢). وللأسف لم يوجد فى كل المدينة عشرة من الأبرار.

وهنا نسمع عبارة جميلة قالها الله لما أراد أهلاك سادوم:

قال: هل أخفى عن عبدى إبراهيم ما أنا فاعله؟! (تك١٨: ١٧).

لم يشأ الرب أن يخفى عن عبده إبراهيم ما سوف يفعله، بسبب الحب الذى كان له فى قلبه، والدالة التى كانت له عنده.. وماذا عن لوط الساكن هناك؟ لماذا لم تخبره يارب؟! لعله لم يكن مستحقاً، لأنه لم يشهد للرب هناك.. إنه كان مجرد واحد من (العشرة) الذين يشفع فيهم إبراهيم، إن وُجدوا..!

يكفى للوط أن يكلمه ملاك، مرسل من الله إليه. ويكلمه كإنذار، مع بقاء الحكم بإهلاك المدينة.

يضاف إلى ذلك أن لوطاً قد فقد هيبته وتأثيره فى سادوم.

لم يستطع أن يصد أهل المدينة، لما أرادوا أن يخطفوا إلى الملاكين، بل هزأوا به وقالوا "جاء هذا الإنسان ليتغرب (عندنا) وهو يحكم حكماً!! الآن نفعل بك شراً أكثر منهما" (تك١٩: ٩). وتوسل إليهم لوط أن يرتكبوا خطية أقل بشاعة فقال لهم "لا تفعلوا شراً يا أخوتى. هوذا لى ابنتان لم تعرفا رجلاً، أخرجهما إليكم، فافعلوا بهما ما يحسن فى أعينكم. أما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً، لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفى" (تك١٩: ٧، ٨). فلم يسمعا له، وقالا له "ابعد إلى هناك".

إلى هذا المستوى هبط لوط. ولم تكن له هيبة حتى مع أصهاره.

قال له الملاكان أن يخرج من ذلك المكان، هو وبنوه وبناته وأصهاره وكل من هو له.. "فخرج لوط وكلّم أصهاره الآخذين بناته. وقال: قوموا أخرجوا من هذا المكان. لأن الرب مهلك المدينة. فكان كمازح فى أعين أصهاره" (تك١٩: ١٤).

منذ متى تتكلم يا لوط عن الرب وعن عقابه للمدينة؟!

كلام جديد لم نسمعه منك منذ سنوات عشتها بيننا. لأول مرة

تنطق باسم الرب!! وهكذا فقد لوط هيبته وتأثيره، ولم يسمع له أحد. كان كمازح في أعين أصهاره. لم يكن كارزاً أمامهم في يوم من الأيام، ولا معلماً، ولا خادماً. وما كان بينهم كشخصية قيادية يسمعون لها ويكون لكلمته وزن. لم يتمتع بذلك اللقب الذى أُطلق على غيره من الأبرار، لقب "رجل الله".

كان لابد لكلمة الحق والانذار من شخصية مهابة تقولها.

حتى لوط نفسه كان يتباطأ في الخروج من المدينة، مع منادلته لأصهاره أن يخرجوا منها! فكان الملاكان يستعجلانه. "ولما توانى أمسكا بيده وبيد امرأته وبيدى ابنتيه لشفقة الرب عليه، وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة" (تك١٩: ١٥، ١٦).

مبارك هو الرب، الذى يشفق على الإرادة الضعيفة المترددة!

الذي يشفق على الأيدى المسترخية والركب المخلعة" (عب١٢: ١٢).. الذى يقول على فم رسوله "اسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع" (١تس٥: ١٤).. ومبارك هو عمل الملاكين الرحيمين اللذين أمسكا بأيدى هذه الأسرة، لينقذوها من الهلاك. ولولا ذلك لتعرض الجميع للهلاك. ومباركة هى شفاعة أبينا إبراهيم، إذ يقول الكتاب "وحدث لما أخرب الله مدن الدائرة، أن الله ذكر إبراهيم وأرسل لوطاً من وسط الانقلاب" (تك١٩: ٢٩)

على أن امرأة لوط هلكت، هذه التى أمسك ملاك بيدها وأخرجها!

فلابد للخلاص من تجاوب الإنسان مع عمل الله لأجله. وصدق القديس أوغسطينوس فى قوله: "إن الذى خلقك بدونك، لا يريد أن يخلصك بدونك". وهكذا فإن امرأة لوط لم تهلك داخل سادوم، بل خارجها. "نظرت إلى الوراء فصارت عمود ملح" (تك١٩: ٢٦).

هلكت وهى وسط أسرتها، ولم ينفعها بر زوجها لوط. ولم يشفع فيها أحد الملاكين، ولا أبينا إبراهيم. وماتت دون أن تُندب أو تدفن، ولم يجرؤ أحد من أسرتها أن ينظر إلى الوراء ليراها! وصارت درساً للأجيال. لمن يكون خارج سادوم، ولكن قلبه بداخلها. لعلها كانت تفكر فى كل أملاكها التى احترقت داخل سادوم.

وهكذا فقد لوط كل ما كان له فى سادوم .

فقد كل أملاكه: الغنم والبقر والخيام. وفقد الأرض المعشبة، وفقد امرأته التي صارت عمود ملح، وفقد كل عائلته وأصهاره. وروحياً فقد أبنتيه اللتين أخطأتا (تك١٩: ٣١-٣٧). كما أن نسلهما لم يحسب ضمن شعب الله.

ولما مات لوط، مات بلا نسل ولا أملاك. وكان قد سكن – بعد خراب سادوم– فى مدينة صغيرة تسمى "صوغر" (تك١٠: ٣٠-٣٢).

إنه بانفصاله عن عمه إبراهيم، كان قد انفصل عن كل بركة.

أما سادوم التى كان قد أعجب بها، التى ظن أنها "كجنة الله، كأرض مصر" فقد احترقت بكبريت ونار أمطره الرب من السماء (تك١٩: ٢٤).

أما أبونا إبراهيم، فيقول عنه الكتاب "وبكّر إبراهيم فى الغد إلى المكان الذى وقف فيه أمام الرب. وتطلع نحو سادوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة، ونظر وإذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتون" (تك١٩: ٢٧، ٢٨).

لقد أدى هذا القديس واجبه بأقصى ما يستطيع، بكل دالة وحب. لكنه نجح فقط فى إنقاذ لوط وابنتيه من حريق سادوم.

ولم نسمع بعد ذلك أن لوطاً عاد إلى عمه ابرام، أو أنه انضم مرة أخرى إلى تلك الأسرة المقدسة التى انفصل عنها بمحبة الأرض المغتصبة.

لقد تحققت أخيراً كلمة الرب لابرام "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك" (تك١٢: ١). وكان لوط آخر هذه العشيرة.

صموئيل النبى

مَن هو صموئيل ؟

هو أعظم نبى بعد موسى. وهو آخر قضاة بنى إسرائيل. وهو أول من مسح ملوكاً للشعب. مسح شاول ثم داود. وهو إنسان نذير، اختاره الرب نبياً فى طفولته، وكلّمه.

فما قصة هذا النبى العظيم؟ إنه ابن امرأة قديسة عاقر.

وكثير من النساء العواقر، لما سمح الله أن يلدن، أنجبن أبناء عظماء، أو على الأقل أبناء مميزين عن غيرهم.

أليصابات كانت عاقراً، ثم ولدت يوحنا الذى قال عنه الرب إنه أفضل من نبى، وأنه ملاك، وأعظم من ولدته النساء (مت١١: ٩-١١).

وامرأة مدوح كانت عاقراً، ثم ولدت شمشون أقوى رجل.

وراحيل كانت عاقراً. ولما فتح الله رحمها، ولدت يوسف الذى صار أباً لفرعون، ومتسلطاً على كل مصر (تك٤٥: ٨) ومثالاً للعفة.

وهكذا كان إسحق ابن سارة، وهكذا كان صموئيل ابن حنة.

هل بدأت علاقته مع الله وهو طفل ؟

كلا، بل قبل أن يولد، بل قبل الحبل به ..

بدأت العلاقة، حينما طلبته أمه العاقر من الله، ونذرته لله قبل أن يعطيها الله إياه..

كان صموئيل ابن الدموع وابن الصلاة والنذر. وكيف ذلك؟

أمه القديسة العاقر :

إنها حنة، التى كانت عاقراً على الرغم من قداستها، كان الله "قد أغلق رحمها" (١صم١: ٥). وكانت ضرتها فننه تغيظها، إذ كان لها أولاد.. حتى فى المكان المقدس فى بيت الله فى شيلوه، أغاظتها فننه حتى أنها بكت، ولم تشأ أن تأكل من الذبيحة.

واساها زوجها ألقانه الذى كان يحبها، وأعطاها نصيب لتسين، وقال لها "لماذا تبكين؟ ولماذا لا تأكلين؟.. أما أنا خير لك من عشرة

بنين؟" كلا يا ألقانه، إنك لم تفهم نفسية المرأة العاقر، ولا عمق غريزة الأمومة. إن محبتها لزوجها شئ، ومحبتها لابن تلده شئ آخر، أعمق من محبة الزوج.

لقد سمح الله لضرتها أن تغيظها، لكى تلجأ إليه ..

قامت حنه، وذهبت إلى بيت الرب، وهى مُرة النفس، وصلّت، وبكت بكاءً.. ونذرت نذراً وقالت "يارب إن نظرت إلى مذلة أمتك.. وأعطيت أمتك زرع بشر، فإنى أعطيه للرب كل أيام حياته" (١صم١: ١١).

بكت أمام الله بمرارة نفس. ولم يحتمل الله بكاءها.

هذا البكاء هو الذى قال عنه الرب لعذراء النشيد "حولى عينيك عنى، فإنهما قد غلبتانى" (نش٦: ٥).

إنها دموع حقيقية، من نفس مُرة. وليست من النوع الذى يصطنع البكاء ليقال عنه إنه يصلى بدموع!

صلت حنة، وصلاتها لم تكن صلاة عادية. بل كانت مميزة جداً.

كانت تصلى بعمق، وأكثرت الصلاة من قلبها، وشفتاها فقط تتحركان، دون أن يسمع صوتها. حتى ظنها عالى الكاهن سكرى، فقال لها: "حتى متى تسكرين، أنزعى خمرك عنك".

عجيب هذا الأمر من كاهن الله، أن يدين امرأة قديسة، ويتهمها ظلماً، أثناء عمق صلتها بالله.. بدلاً من كلمة دعاء طيبة.

إن جرح الشعور الذى يصدر من أب كاهن، أمر مؤلم جداً، وبخاصة لما فيه من قسوة وسوء ظن، ضد امرأة قديسة تسكب نفسها أمام الله!

إن الناس ينتظرون من الأب الكاهن أن يكون رقيقاً حنوناً، يواسى الحزانى ويطيب خاطرهم. لا أن يقسو ويظن فيهم السوء!

ومع ذلك فإن القديسة حنه لم تعاتبه على ذلك، بل فى انسحاق قلب، قالت له "لا يا سيدى، إنى امرأة حزينة الروح، ولم أشرب خمراً ومسكراً، بل أسكب نفسى أمام الرب. لا تحسب جاريتك ابنة بليعال". استخدمت عبارات: سيدى، وجاريتك، وأمتك.

انسحاقها أثّر فى عالى الكاهن، فدعا لها أن يعطيها الرب سؤل قلبها الذى سألته منه. فتقبلت دعاءه فى إيمان، ونسيت قسوته الأولى. ومضت، وأكلت. "ولم يكن وجهها مغيراً بعد".

لم تقل فى قلبها "كيف أقبل دعاء هذا الكاهن القاسى؟!

ورقتها استطاعت أن تغلب قسوته .

ودائماً الرقة تغلب العنف. لأن الإنسان العنيف حينما يجاب عليه برقة، يخجل من عنفه، ويخجل من رقة من يكلمه.

وذكر الرب حنة، واستجاب طلبتها، فحبلت وولدت ابناً، ودعته صموئيل وانتظرت إلى أن فطمت الصبى، لتفى بنذرها وتصعده إلى الرب.

أخذته إلى شيلوه، وأنيسته جبة صغيرة، وقدمته إلى عالى الكاهن. وقالت له "حية هى نفسك يا سيدى، أنا المرأة التى وقفت لديك هنا تصلى، وقد أعطانى الرب سؤل قلبى". وأصعدت معها ثلاثة ثيران ذبيحة للرب. لأنها لا تستطيع أن تقف أمام الله فارغة (خر٢٣: ١٥).

قدمت للرب ابنها الوحيد الذى طلبته منه بدموع، وفرحت بميلاده، وكأنها تقول للرب "من يدك أعطيناك" (١أى٢٩: ١٤).

كانت جادة فى نذرها، يكفيها أنها حبلت وأنجبت، ويكفيها أن الله قد استجاب صلاتها، وأنها لم تعد عاقراً. ولأنها وفت بنذرها، وهبها الله بعد ذلك ثلاثة بنين وبنتين (١صم٢: ٢١).

صموئيل نذير الرب :

كان صموئيل نذيراً للرب، قبل أن يولد، نذرته أمه حينما طلبته من الرب. **وهناك أنواع من النذيرين:** شخص ينذره الرب لنفسه. مثل شمشون، كما قال الملاك الذى بشر أمه بولادته "لأن هذا

الصبى يكون نذيراً لله من البطن" (قض١٣: ٥). وهناك من ينذر نفسه للرب. أما صموئيل فقد نذرته أمه. والنزم هو بهذا النذر، مع أن النذر لم يخرج من فمه، بل من فم أمه.

وكنذير للرب عاش حياته كلها مكرساً لله، وقبل الله تكريسه.

تربى فى شيلوه يخدم الرب بأفود من كتان. وعملت له أمه جبة صغيرة، تصعدها له من سنة إلى سنة" (١صم٢: ١٨، ١٩).

ولعل البعض يسأل ما هى شيلوه هذه؟

شيلوه هذه منطقة شمال بيت إيل، انتقلت إليها خيمة الاجتماع وتابوت العهد. وظلت الخيمة هناك ٣٠٠ سنة، إلى أن رجع تابوت العهد إلى جبعون، ثم إلى أورشليم أيام داود النبى.

فكانت شيلوه هى المكان المقدس الذى يذهب إليه الناس، ويذبحون للرب، ويقدمون نذورهم، ويصلون هناك.

وفى شيلوه كان عالى الكاهن الذى خدم معه صموئيل.

عاش صموئيل فى عصر فاسد، إذ كان عصر القضاة من أفسد العصور. وقد قيل عنه "فى تلك الأيام لم يكن هناك ملك فى إسرائيل. وكان كل واحد يعمل ما يحسن فى عينيه (قض٢١: ٢٥). كان الناس أشراراً. وبسبب شرّهم كثيراً ما دفعهم الله إلى أيدى أعدائهم فأذلوهم.

حتى عالى الكاهن كان له ابنان: **حفنى وفينحاس**، وكانا شريرين جداً، يمارسان الشر حتى فى خيمة الاجتماع.

ولكن الصبى صموئيل، كان يعيش فى إيجابياته وروحياته، بعيداً عن هذا الجو الردىء، لا شأن له به.

وكثيراً من رجال الله عاشوا وسط أجواء رديئة، ولكنهم احتفظوا بقداستهم. فموسى النبى عاش فى قصر فرعون، وسط عبادات غريبة لا تحصى. ولكن الإيمان الذى فى قلبه، كان أقوى من الوثنية المحيطة به.

ويوسف الصديق عاش فى بيت فوطيفار، تحيط به عثرة تضغط عليه من سيدته. ولكن العفة التى كان يتمسك بها، كانت أقوى من الخطية التى تضغط عليه. لم يتأثر بالعثرة بل كان أقوى منها.

وهكذا عاش صموئيل فى طفولته فى جو فاسد.. ولكن الخير الذى فيه، كان أقوى من الشر المحيط به.

بلغ من فساد جيله، أن الله غضب عليهم، وسمح أن يُهزموا فى الحرب، ويؤخذ منهم تابوت العهد (١صم٤: ١- ١١).

المهم أنه وسط هذا الجو الفاسد، اختار الله هذا الطفل صموئيل ليكون نبياً له. وهو بعد صبى صغير...

وكان هذا الصبى الصغير محبوباً من الله، صارت إليه كلمة الرب

فى زمن كانت كلمة الله فيه عزيزة وكذلك الرؤى (١صم٣: ١).

كلّم الله هذا الصبى الصغير، دون أن يكلم عالى الكاهن الشيخ. بل أرسل الله رسالته إلى عالى، عن طريق هذا الطفل. ذلك لأن الله قد غضب على عالى الكاهن، لأنه لم يؤدب إبنيه الشريرين، ولم يردعهما. بل وبخهما فى لين، لا فى حزم. كان بإمكانه أن يعاقبهما، وأن يطردهما من الخدمة فى خيمة الاجتماع. ولكنه لم يفعل. وقال لهما "إنى أسمع بأموركم الخبيثة من جميع الشعب. لا يا بنىّ. ليس حسنا الخبر الذى أسمع.. إذا أخطأ إنسان إلى الله فمن يصلى من أجله؟!" (١صم٢: ٢٣- ٢٥).

وكلامه اللين فقد هيبته، فلم يسمع أبناؤه له. وغضب الله.

لعل فى هذا الأمر درساً لنا فى التربية.

وأن هناك مواقفا لا يصلح فيها اللين ولا الرقة، وإنما يجب فيها الحزم والقوة والتأديب "وأى ابن لا يؤدبه أبوه؟!" (عب١٢: ٧).

كان صموئيل النبى يمثل الطهارة فى شبابه. ولكنه فى طفولته لم يكن قد وصل بعد إلى النضوج الذى يميز فيه صوت الرب.

ناداه الرب، فظن الصوت صوت عالى الكاهن فذهب إليه. وتكرر الأمر. فقال له عالى إن دعاك الصوت مرة أخرى فقل "تكلم يارب فإن عبدك سامع" (١صم٣: ٩). وفعل صموئيل هذا،

فبلغه الرب رسالة صعبة ينقلها إلى عالى الكاهن، يقضى فيها على بيت عالى إلى الأبد، "من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد وجبوا به اللعنة ولم يردعهم" لذلك قال الرب "أقسمت لبيت عالى أنه لا يكفر عن شر بيت عالى بذبيحة أو بتقدمة الى الأبد" (١صم٣: ١١-١٤).

وخاف صموئيل أن يبلغ عالى الكاهن هذه الرسالة الصعبة.

حقا ما أجمل أقدام المبشرين بالخيرات (إش٥٢: ٧). أما أن يبلغ صموئيل الكاهن الشيخ برسالة من الله عن خراب بيته، فكان هذا أمرا صعبا عليه. ولكن عالى طلبه وسأله عن رسالة الرب وقال له "هكذا يعمل لك الله وهكذا يزيد، إن أخفيت عنى كلمة من الكلام الذى كلمك به" فأخبره صموئيل بجميع الكلام.

ونفذ الله إنذاره ، وهزم الشعب فى الحرب، وقتل فيها حفنى وفينحاس ابنا عالى، وأخذ تابوت العهد. ولما سمع عالى بالخبر، وقع من على كرسيه ومات... لقد كان أخذ تابوت العهد منهم دليلا على غضب الله عليهم وتخليه عنهم..

وخلا الجو تماما ليكون صموئيل هو سيد الموقف.

صموئيل النبى :

يقول الكتاب "وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع، أنه

قد أؤتمن صموئيل نبيا للرب" (١صم٣: ٢٠). واصطلح الرب مع الشعب "وعاد الشعب بتراءى في شيلوه" (١صم٣: ٢١).

- بعد موت عالى الكاهن، كان صموئيل قد كبر، وصار قاضياً للشعب. ولكن فترة قضائه لم تذكر لنا بالتفصيل. وكان لصموئيل أولاد، ولم يكونوا في مثل روحياته، بل كانت لهم أخطاء.

وبدأ الشعب أن يطلب له ملكاً يحكمهم. وحزن صموئيل إذ شعر أنهم رفضوه. فقال له الرب "إنهم لم يرفضوك أنت، بل إياي قد رفضوا" (١صم٨: ٧). فما معنى هذه العبارة؟

كان الشعب في ذلك الزمان يحكمهم الله عن طريق أنبيائه.

كان حكماً ثيوقراطياً. فطلبهم ملكاً، معناه رفض الله كملك.

العجيب أن الله مع قوله "إياي قد رفضوني"، قال لصموئيل "اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك" (١صم٨: ٧).

لم يرفضهم الرب إذ رفضوه، ولم يعاقبهم عقاباً شديداً على رفضهم إياه، بل استجاب لطلبتهم مع أنها كانت ضده، وكانت ضدهم أيضاً. وقد أنذرهم بهذا وبسيطرة الملك الذي يطلبونه واستبداده بهم (١صم٣: ٩-١٨).

قال لصموئيل "فالآن اسمع لصوتهم. ولكن اشهدْ عليهم، وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم.. فتصرخون في ذلك اليوم

من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم.." (١صم٨: ٩، ١٨) فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل، وقالوا: لا. بل يكون علينا ملك. فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب". وللمرة الثانية قال الرب لصموئيل "اسمع لصوتهم. وملّك عليهم ملكا" (١صم٨: ١٩، ٢٢).

ما أعجبك يارب في طول أناتك! وفي احتمالك لرافضيك!

وما أعجب هذا الدرس الذي تعلمه لصموئيل، لينفذه!

نفذ الله طلبهم في رفضهم له، واختار لهم شاول ملكاً لهم "وكان أطول من كل الشعب من كتفه إلى فوق" (١صم١٠: ٢٣). كل ذلك مع أن الله كان يعرف ماذا سيكون شاول! وكيف سيستقل عن الله!

أحياناً يمنع الله الإنسان عن الشر قبل ارتكابه، وأحياناً يترك له لحريته حتى يقاسي نتيجة شره، فيرجع إلى نفسه.

فما لا يفعله الإنسان بالطاعة، يعود فيعرف حكمته بالخبرة.

إن الله لم يمنع سليمان من حياة الترف، إلى أن عاد أخيراً وقال "باطل الأباطيل، الكل باطل وقبض الريح" (جا١: ١٤). ولم يمنعه من الزواج بعديد من النساء، إلى أن اختبر بنفسه، كيف أن نساءه في شيخوخته أملن قلبه وراء آلهة أخرى (١مل١١: ٤).

وهكذا لم يمنع شعب إسرائيل أن يكون لهم ملك غيره، وأن يكون من سبط بنيامين، مع أن مشيئة الله كانت تتجه إلى سبط

يهوذا.

والعجيب أيضا أن الله سمح أن ذلك الملك يخال من نبيه مسحة مقدسة، وأن يحل عليه روح الله، وأن يتنبأ!!

أخذ صموئيل قنينة الدهن، بما فيها من زيت المسحة المقدس، وصبّ على رأس شاول وقبّله وقال له إن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا (١صم١٠: ١) "وأعطاه الرب قلبا آخر". ولما تقابل مع الأنبياء، تنبأ مثلهم، حتى أدهش الناس قائلين "أشاول أيضا بين الأنبياء؟!" (١صم١٠: ٩- ١١).

وهنا ينفذ الرب وصيته التي قالها فيما بعد "أحبوا أعداءكم.. أحسنوا الى مبغضيكم" (مت٥: ٤٤).

وبمسح شاول ملكا، صارت هناك سلطتان: سلطة مدنية ممثلة في شاول الملك، وسلطة إلهية ممثلة في صموئيل النبي. وكانت سلطة النبي أعلى. وسلطة الملك في سيطرته أقوى. وعلى مدى الزمن، كان الملوك يمسحهم الأنبياء، ثم صار الملك بالوراثة..!

وخالف شاول كلام الله في حروبه. ولم يعد الله يرضى عليه.

وأخبره صموئيل بأن الله سيمزق مملكته عنه. وكان شاول يحترم صموئيل ويخافه، لأن أحكامه صادرة من الرب.

وعن رغبة قلب صموئيل أنه تاح على شاول (١صم١٥: ٣٥).

وقال الرب لصموئيل: "حتى متى تنوح على شاول، وأنا قد رفضته؟!" (١صم١٦: ١). وأرسله إلى بيت لحم، ليمسح ملكا.

ذهب صموئيل إلى بيت لحم "فارتعد شيوخ المدينة عند استقباله. وقالوا: أسلام مجيئك. فقال سلام. جئت لأذبح للرب. تقدسوا وتعالوا معي إلى الذبيحة" (١صم١٦: ٤، ٥). إنه لم يكذب. إنما أخبرهم بالخطوة الأولى فقط التي سيفعلها. وفعلاً قدم ذبيحة. وقدس أبناء يسى ودعاهم إلى الذبيحة.

العجيب هنا، أن الله لم يكن قد كشف من سيختاره.

فلما رأى اليآب، قال إن أمام الرب مسيحه!! فقال له الرب "لا تنظر إلى منظره وطول قامته، لأني قد رفضته". كذلك لم يقع اختيار الرب على كل أبناء يسى السبعة الكبار. وبقي الصغير داود الذي كان مع الغنيمات القليلات في البرية. فاستدعاه. وهنا قال الرب لصموئيل: قم امسحه لأن هذا هو.

ومسح صموئيل داود ملكا، فحلّ روح الرب على داود. ثم تركه صموئيل وذهب إلى الرامة (١صم١٦: ١٣).

وهكذا كان صموئيل أول من مسح الملوك. وبهذه المسحة كان روح الله يحل عليهم. فكأنه كان واسطة في حلول روح الرب على هؤلاء المسحاء وفيما نالوه من مواهب.

بعد ذلك ترك الأمر للملوك، ويبدو أنه اختفى عن الساحة .

وكان صموئيل قد شاخ. ولكنه قبل موته دعا الشعب.

وأشهدهم على نفسه قائلاً: أنا قد شخت وشبت.. اشهدوا علىّ أمام الرب.. ثور من أخذت؟ وحمار من أخذت؟ ومن ظلمت وسن سحقت؟ فقالوا لم تظلمنا ولم تسحقنا، ولا أخذت من يد أحد شيئاً" (١صم١٢: ٢-٤). ثم كلمهم بصراحة عن طلبهم ملكاً. فقالوا قد أخطأنا فى ذلك، والآن صلّ عن عبيدك. فقال "حاشا لى أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم" (١صم١٢: ٢٣).

ومات صموئيل ، وندبه جميع اسرائيل، ودفن فى بيته فى الرامة (١صم٢٥: ١).

صموئيل النبى مع شاول الملك

تابوت العهد :

لما ساد الفساد أيام عالى الكاهن، هجم الفلسطينيون على الدان، وهزموا اليهود، وأخذوا تابوت العهد منهم، وقتلوا منهم نحو ثلاثين ألفاً، مع أن تابوت العهد كان فى وسطهم. ومات فى الحرب ابنا عالى الكاهن حفنى وفينحاس (١صم٤: ١١،١٠). ولما سمع عالى الكاهن باستيلاء الفلسطينيين على تابوت عهد الرب، سقط من على كرسيه إلى الوراء، فانكسرت رقبته ومات، إذ كان رجلاً شيخاً (١صم٤: ١٨).

كيف حدث هذا ، أن تابوت العهد كان وسطهم، وانهزموا ؟!

لم يكونوا مستحقين أن يكون التابوت وسطهم بسبب فسادهم.

لم تكن لهم الإيمان الذى به يتدخل الرب لنصرتهم .

مثل ذلك إنسان يكون الإنجيل فى جيبه، ولا تكون وصايا الإنجيل فى قلبه! فلا ينال بركة الإنجيل .

هكذا شعب هذا العصر القاسى، أخذوا التابوت معهم فى الحرب لكى ينتصروا على الرغم من وجود الفساد فى حياتهم!! كان تابوت الرب معهم، دون أن ينزعوا الآلهة الغريبة من وسطهم. وذهبوا بخطيئتهم إلى الحرب فانهزموا، وسبى التابوت أيضاً وأخذه الفلسطينيون، وزال المجد من إسرائيل ..!

انهم كإنسان يقول صمت وصليت، وأقمت قداديس من أجل موضوع معين، ولم يستجب الرب لى. ذلك لأنه صلى وصام وهو يستبقى الخطية فى قلبه، فلم تجد صلاته شيئاً .

كذلك هؤلاء الناس كانوا يظنون أنهم يحاربون حرباً مقدسة وانهزموا!! .. بينما الحرب - حتى لو كانت مقدسة - ينبغى أن يتم النصر فيها على أيدى أشخاص طاهرين.

أما هم، فلم يقبل الرب أن يجعل النصر على أيديهم وهم خطاة!

يذكروننى بعصا إيشع النبى حينما كانت فى يد جيحزى، لم تستطع أن تقيم ابنّ الشونمية من الموت. بينما لما صارت فى يد النبى إيشع، صنعت المعجزة (٢مل٤: ٢٩- ٣٢) .

إن عصا موسى كانت تعمل بها المعجزات، لأنها كانت فى يد موسى. لم تكن القوة فى العصا، إنما فى اليد التى تمسك العصا. أو كانت القوة فى إيمان من يحمل هذه العصا فى يده ...

كذلك التابوت لم تظهر قوته، حينما حمله أولئك الخطاة. مع أن تابوت عهد الرب وقتذاك، كان يرمز إلى حلول الله وسطهم ..

على أن تابوت الرب لم يفقد قوته. فلما أدخله الفلسطينيون إلى أشدود، ووضعوه إلى جوار صنم داجون، سقط ذلك الصنم أمامه وانكسر (١صم٥: ١- ٤). وأصابت الشعب ضربات. فلم يجدوا حلاً إلا أن يرجعوا التابوت إلى أصحابه (١صم٦) .

صموئيل النبى :

بعد موت عالى الكاهن التابوت نقل إلى شيلوه، التى لم تعد لها قيمة بعد، وخيمة الاجتماع مع التابوت نقلا إلى قرية بعاريم. وصموئيل ذهب إلى الرامة، القرية التى ولد فيها، وظل مختفيا حوالى عشرين عاما لا نعرف عنها شيئاً، ثم ظهر وهو فى سن الثلاثين تقريباً، وصار قاضيا للشعب، وقضى له كل أيام حياته (١صم٧: ١٥) وكان قد تزوج وأنجب ...

ولعل العشرين سنة التى قضاها مختفياً كانت فترة إمتلاء واستعداد.

بدأ يعمل من أجل الشعب ونجح، أصبح إسمه معروفاً، وصار

أقوى شخصية فى جيله.

كان أقوى وأسمى من شمشون الجبار. شمشون كان هدفه أن يخلص الشعب من الأعداء المحيطين به بقوة عضلاته وقوة يده. أما صموئيل فدخل إلى الأعماق فدعا الناس أولاً إلى التوبة. وهكذا كلمهم قائلاً "إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب، فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم. وأعدوا قلوبكم للرب وأعبدوه وحده فينقذكم" (١صم٧: ٣، ٤). ففعلوا كذلك وعبدوا الرب وحده.

شمشون خلصهم من الأعداء الخارجيين، ولم ينقذهم من الفساد الداخلى، بل هو نفسه وقع فى الفساد. أما صموئيل فطهرهم من الداخل .

واجتمع الشعب ، وسكبوا ماء أمام الرب وصاموا.. وقالوا قد أخطأنا إلى الرب (١صم٧: ٦). وبعدها قدم صموئيل عنهم محرقة للرب. وبعدها انتصروا على أعدائهم. وهكذا وضع صموئيل الوسيلة السليمة للانتصار. وهى الصلح مع الله أولاً، وتنقية القلب قبل الخروج إلى الحرب ...

كان صموئيل إنساناً نقى القلب، ورجل صلاة .

حبلت به أمه، وهى فى حالة قداسة، وولدته قديساً مثلها. وعاش طفولته فى هيكل الله، الذى يقول عنه الرب "بيتى بيت الصلاة

يُدعى". وكان يلجأ إلى الصلاة فى كل مناسبة، ويحل مشاكل الشعب بالصلاة. لذلك نقرأ كثيراً فى حياته هذه العبارة "وصرخ صموئيل إلى الرب" (١صم٧: ٩) "ودعا صموئيل الرب" (١صم١٢: ١٨) .

والشعب نفسه كان يقول له: "لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب إلهنا، فيخلصنا.." (١صم٧: ٨). وهو نفسه قال عبارته الخالدة:

"أما أنا فحاشا لى أن أخطئ إلى الرب، فأكف عن الصلاة من أجلكم.." (١صم١٢: ٢٣) .

كان يعتبر الصلاة واجباً من واجباته. وإن كان شخصاً مقبولاً أمام الله، صارت صلاته مقبولة عن الشعب.. وما أجمل هذه العبارة فى حياته "تكلم يارب فإن عبدك سامع" (١صم٣: ٩، ١٠). ليتنا نستفيد من هذه العبارة فى حياتنا ، ونقول للرب :

هى ذى الأذن وقد أخليتها من حديث الناس حتى أسمعك

لقد استحق صموئيل أن يكلمه الله دون عالى الكاهن ..

وما أجمل قول الكتاب عنه "وكبر صموئيل، وكان الرب معه. ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض" (١صم٣: ١٩).

إنه يمثل وسطاً بين عهدين: بين عهد الفساد وعهد النعمة. بين عهد اختفت فيه الرؤى والإعلانات، وعهد عادت فيه العلاقة بين الله والناس. فكان سبب صلح بين الله والناس .

كان سفيراً لله يحمل رسالاته إلى الناس .

لا يهم إن كانت رسالة بركة أم عقوبة . فالمهم أن يوصلها.

هكذا فعل مع عالى الكاهن، وهكذا فعل مع شاول الملك .

وصار قاضياً يقضى بين الناس لمدة أربعين سنة. فكان رئيساً للشعب، ووسيطاً بينهم وبين الله . وكانوا يدعونه الرائى (١صم٩: ١٦) . فكان الناس يستشيرونه فى كل شئ، ويطلبون كلمة الله من فمه. ولما التقى فى أول مرة مع شاول، قال له "قف الآن فأسمعك كلام الله" (١صم٩: ٢٧) .

وباعتباره الرائى، كان صموئيل رجلاً مفتوح العينين. وكثير من حوادث المستقبل كانت مكشوفة أمامه ...

وكان مهاباً جداً من جميع الناس. يشعرون أن حكمه هو حكم ... هو يمثل الله على الأرض .

... آخر القضاة ، وفى عهده ظهر شاول أول الملوك .

وفى عهد هذا الملك ، لم يكن صموئيل النبى يحكم الشعب، إنما كان الملك الذى يحكم، تحت سلطانه، يخافه ويحترمه ويهابه، ويمكن لصموئيل أن يوبخه ...

شاول الملك وبداية طيبة ،

★كان من سبط بنيامين ، وهو أصغر الأسباط .

★وهو أول ملك مُسح لليهود بعد عصر القضاة .

★بدأ حياته بداية طيبة، وانتهت حياته بمأساة .

كان جميلاً فى منظره ، يوحى شكله بالمهابة والجمال. قال عنه الكتاب إنه شاب وحسن. ولم يكن رجل فى بنى إسرائيل أحسن منه. من كتفه فما فوق، كان أطول من كل الشعب" (١صم٩: ٢) (١صم١٠: ٢٣). ولما قدّمه صموئيل للشعب، قال لهم: "أرأيتم الذى اختاره الرب . إنه ليس مثله فى جميع الشعب" (١صم١٠: ٢٤) .

وكان مطيعاً لوالده ، لما أمره بالبحث عن الأتن الضائعة .

عبر الكثير من الأراضى للبحث عنها: فى جبل افرايم، وفى أرض شليشة، وفى أرض شعاليم، وفى أرض بنيامين، وفى أرض صوف. ولما لم يجدها وتأخر اهتم بمشاعر أبيه "وقال لغلامه الذى معه: تعال نرجع لئلا يترك أبى الأتن ويهتم بنا" . ثم بناء على نصيحة الغلام ذهب إلى حيث يوجد صموئيل النبى الذى كانوا يلقبونه الرائى. فأخبره صموئيل بأنها قد وجدت .

ولما تقابل مع صموئيل النبى خاطبه بالتضاع :

قال له صموئيل "لمن كل شئ شهى فى إسرائيل، أليس لك ولكل بيت أبيك" . فأجابه بالتضاع وقال "أما أنا بنيامينى، من أصغر أسباط اسرائيل، وعشيرتى أصغر كل عشائر سبط بنيامين. فلماذا تكلمنى بمثل هذا الكلام؟!" (١صم٩: ٢٠، ٢١) .

ولما طلب بنو إسرائيل أن يكون لهم ملك، اختاره الرب لهم .

مع أن هذا الأمر كان يعتبر رفضاً للرب الذى كان يملك عليهم عن طريق رجاله من القضاة. ولما تضايق صموئيل النبى من طلب الشعب، قال له الرب :

اسمع لصوت الشعب فى كل ما يقولون لك : لأنهم لم يرفضوك أنت، بل إياى قد رفضوا حتى لا أملك عليهم (١صم٨: ٧). وهكذا نرى الرب الإله عجيباً فى لطفه وفى معاملته لرافضيه، وفى سماعه لصوت الشعب مع أن ذلك كان ضد مشيئته الإلهية.

ومع ذلك اختار لهم الرب شخصاً كان أفضل الموجودين بالنسبة إليهم. وسمع أن نبيه صموئيل يمدحه ويقول عنه إنه ليس مثله فى جميع الشعب (١صم١٠: ٢٤) .

وحل روح الرب على شاول بعد مسحه ملكاً، وتنبأ .

عجيب عمل الرب فى شاول : أرسل صموئيل النبى بقنينة الدهن المقدسة، فصبه على رأسه وقبله ، وقال له إن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً (١صم١٠: ١) . "وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر" (١صم١٠: ٩). وحدثت آيات فى ذلك اليوم .

وحل روح الرب على شاول ، فتنبأ شاول حتى تعجب الناس

وقالوا "أشاول أيضاً بين الأنبياء؟!" (١صم١٠: ١٠- ١٢) .

أى كرم من الله كل هذا؟! على الرغم من أن الأمر كله ضد إرادته، ومع ذلك فإن الرب يختار الشخص، ويمنحه، ويعطيه قلباً آخر، ويحل عليه روح الرب، ويتنبأ ...

حدث أيضاً أن يد الرب كانت معه حتى بعد خطيئته الأولى :

واستطاع هو ويوناثان أن يهزموا جيشاً. وقال الكتاب عن شاول إنه "حارب جميع أعدائه حواليه: موآب، وبنى عمون، وأدوم، وملوك صوبة، والفلسطينيين. وحيثما توجه غلب، وفعل ببأس، وضرب عماليق... (١صم١٤: ٤٧، ٤٨) .

إذن ما هو سرّ التحول فى تاريخ شاول؟ أهو فى شخصيته .

التحوّل وسببه :

كيف تحوّل شاول من إنسان مطيع متواضع، إلى إنسان مرفوض من الله، وقيل فى ذلك "والرب ندم لأنه ملّك شاول على إسرائيل" (١صم١٥: ٢٤). ولما ناح عليه صموئيل، قال له الرب : "حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته؟!" (١صم١٦: ١).

كيف وصل شاول إلى هذا الوضع ؟

قال داود فى رثاء شاول بعد موته "كيف سقط الجبابرة، وبادت آلات الحرب" (٢صم١: ١٩، ٢٧). فلا تظنوا يا أخوتى أن كل

الذين سقطوا كانوا ضعفاء! كلا، فقد قيل عن الخطية "إنها طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) .

فكيف سقط هذا الجبار العجيب الذى كان من كتفه إلى فوق أطول من جميع الشعب. هذا الذى كان أول شخص في التاريخ يمسح ملكاً بالدهن المقدس من نبى الله!.. أول إنسان سمى مسيح الرب كملك .

قصة سقوطه يرويها الاصحاح ١٣ من سفر صموئيل الأول .

ولكى أقصها عليكم، أحب أن أذكر ملاحظة هامة. وهى أن الله حينما يختبر أى إنسان، لا يفترض اختباره بطريقة صعبة. ربما بشئ بسيط تظهر به طاعته أو معصيته. كما اختبر آدم وحواء بمجرد نهيهما عن ثمر إحدى أشجار الجنة. فأكلا وسقطا ذلك السقوط العظيم الذى استلزم التجسد الإلهى والفداء .

تأخر عليه صموئيل فى المجئ. وكان الشعب فى ضنك أثناء الحرب. ففكر شاول (ولم يكن من رجال الكهنوت) أن يقدم محرقة للرب وبعد أن أصعد المحرقة، أتى صموئيل. فسأله عما فعل. فبرر موقفه بتأخر صموئيل، وتعب الشعب، وتجمع الأعداء. ولذلك قال "فتجلدت وأصعدت المحرقة" (١صم١٣: ٨- ١٢) .

فقال له صموئيل "قد انحمقت جداً، ولم تحفظ وصية الرب إلهك"

لو أن شاول صبر قليلاً ، لكان صموئيل قد حضر، وما أعوزه الأمر أن يخطئ تلك الخطية الكبيرة! لو أنه آمن أن الرب لابد سيعمل وسينصره فى الحرب، لأن الحرب للرب، ما كان قد أخطأ. لكن كان سبب سقوطه هو عدم إيمانه بعمل الرب ولو تأخر، وعدم ثقته فى مجئ صموئيل النبى ولو تأخر. مع اعتماده على عقله وفكره وحسن تدبيره ..

وظن فى حماقته أنه بتقديم الذبيحة يتضرع إلى الرب لكى يتدخل . ونسى فى كل ذلك أن الطاعة أفضل من تقديم الذبائح .

لذلك استحق أن يسمع العقوبة من فم صموئيل النبى :

الذى قال له "أما الآن فإن مملكتك لا تقوم. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه" (١صم١٣: ١٤). وقصد بذلك داود الذى سيختاره الرب فيما بعد، بحيث يكون "حسب قلبه" – أى "حسب مشيئة الله، وليس حسب هواه الشخصى .

إن الرب حينما سمح بإقامة شاول ملكاً، أراده أن يكون ملكاً تحت إرشاده الإلهى. أما شاول فسلك حسب هواه مستقلاً عن الله

وكانت هذه هى مشكلة شاول الكبرى .. أو كانت بدء مشاكله.

صموئيل النبى
آخر عصر القضاة

عاش صموئيل النبى فى عصر القضاة. وكان آخر قاضٍ لبنى إسرائيل فى ذلك الزمن. فماذا كانت صفات ذلك العصر الذى نشأ فيه الطفل صموئيل ونما؟ وهل تأثر به صموئيل، أم قد أثّر هو فيه؟

عصر القضاة :

إنه يمثل حالة الشعب الفاسد الذى يسلّمه الله إلى أيدى أعدائه فيذلونه. فيصرخ إلى الله فينقذه. فإن تمتع بالخلاص من أعدائه يعود إلى فساده مرة أخرى ...

شعب متقلب غير ثابت. ولكن الخط السائد فيه هو البعد عن الله. فقد اختلطوا بالأمم الوثنيين، وتزاوجوا معهم، وعبدوا آلهتهم وسجدوا لها (قض٢: ١٩) (قض٣: ٦) .

عبدوا البعل وعشتاروت والسوارى، وعملوا الشر فى عينى

الرب. تركوا الرب فتركهم .

غريب أن يحدث ذلك منهم فى أرض الموعد، وبعد كل المعجزات التى عملها الرب معهم!

كان ذلك بعد أن انقرض الجيل الذى عاش فى أيام يشوع بن نون، وانضم ذلك الجيل إلى آبائه. وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذى عمله .. فحمى غضب الرب عليهم ..

وكانت كلمة الرب عزيزة فى تلك الأيام (١صم٣: ١) .

لا أنبياء يتكلم الله على ألسنتهم، ولا رؤى ولا استعلانات. لم تكن لدى الرب رغبة فى الكلام معهم! ولا كان بينهم من يستحق أن يحدثه الرب، أو أن يمتأمنه على رسالة يوصلها إلى الناس.. ولم تكن هناك صلة بين الله والناس، الذين عاشوا فى قحط روحى.

وأسوأ ما وصل إليه عصر القضاة، كان فى أيام عالى الكاهن.

وكان عالى شيخاً متقدماً فى الأيام، وقد قضى للشعب أربعين سنة. وكان أولاده أشراراً يرتكبون النجاسة مع النساء فى باب خيمة الإجتماع (١صم٢: ٢٢) ويغتصبون لحم الذبائح لأنفسهم (١صم٢: ١٢- ١٧)، واستهانوا بتقدمة الرب. وسمع عالى الكاهن بما كان يفعله بنوه (١صم٣: ٢٢). ولكنه لم يردعهم (١صم٣: ١٣). بل كان توبيخه لهم هيناً وليس بحزم ...

وأخيراً وجد الله مكاناً فى أحشاء القديسة حنة زوجة القانة ليخرج منه نبى للرب :

القديسة حنــه

كان الله يريد أن تلد حنه إبناً تنذره للرب ليخدمه .

ولكن كيف هذا ، ونساء كثيرات يبخلن على الله بأولادهن؟ لهذا شاءت الخطة الإلهية أن يغلق الرب رحم حنه فلم تلد (١صم١: ٥). وكانت لها ضرة ذات بنين فكانت تغيظها، والله ساكت، لأن الوقت المحدد لخطته الإلهية لم يكن قد أتى بعد.. وظلت فننه تفتخر بأولادها وتغيظ حنه، قد بكت حنة ورفضت أن تأكل ...

عجيب أن تفتخر فننه بأمر لا فضل لها فيه!

وتغيظ حنه على أمر لا ذنب لها فيه !

حقاً ، ما ذنب حنه فى أنها كانت عاقراً؟! ما ذنبها، والله هو الذى أغلق رحمها فلم تلد؟! لهذا حسناً قال الكتاب "المستهزئ بالفقير يعير خالقه" (أم١٧: ٥) . وكان استهزاء ضرتها بها فى مكان مقدس، فى شيلوه حيث توجد خيمة الإجتماع. واستمر أغاظة فننه لحنه ..

عجيب يارب هذا. لماذا حنة البارة كئيبة، وضرتها الشريرة فرحة ومبتهجة ولها أولاد. وتبدو حالتها أفضل؟! وقد يجيب الله:

أولاد فننه سيكونون نكرات لا يشعر العالم بهم..! أما حنة العاقر فسيخرج من أحشائها نبى عظيم. إذن أنتظرى الرب يا حنه. تقوى وليتشدد قلبك وانتظرى الرب (مز٢٧: ١٤).

ولم تجد حنه أمامها، سوى أن تلجأ إلى الرب وتسكب نفسها أمامه بعمق، وهى مُرة النفس.

يقيناً إنه من أعمق الصلوات التى يصليها إنسان، هذه التى يصليها وهو مرّ النفس، وهو فى ضيقة ...

وهكذا كان موعد الخطة الإلهية يقترب ...

ما أعمق تلك الصلاة التى صلتها حنه ، وهى فى مذلتها .. صلت صلاة، وبكت بكاء، ونذرت نذراً (١صم١: ١٠، ١١). لقد سمح الله بإغاظة ضرتها لها، وخدشها لمشاعرها حتى وقت الأكل من الذبيحة .. كل ذلك لكى تصل إلى ذلك النذر، حيث قالت للرب "إن نظرت نظراً إلى مذلة أمتك، وذكرتنى ولم تنس أمتك، بل أعطيت أمتك زرع بشر، فإنى أعطيه للرب كل أيام حياته، ولا يعلو رأسه موسى" (١صم١: ١١) .

طلبت أن يعطيها الرب إبناً . "فالبنون ميراث من عند الرب" (مز١٢٧: ٣) .

إن الله الذى أغلق رحمها، هو قادر أن يفتح رحمها للد. هو

الذى "يغلق ولا أحد يفتح. ويفتح ولا أحد يغلق" (رؤ٣: ٧) .

"كانت تكلم الله في قلبها، وشفتاها فقط تتحركان، وصوتها لم يُسمع" . وسمع الله ما في ذلك القلب الحزين المنسكب أمامه. كان اليهود يكلمون الله بشفاههم، وقلبهم مبتعد عنه بعيداً (إش٢٩: ١٣). أما هذه فقد كانت شفتاها صامتتين، أما قلبها فكان يتكلم .

الله سمع قلبها، وسمع بكاءها، ونظر إلى مذلتها ، واستجاب.

وكأنه يقول لها وهي تبكي "حولي عينيك عني، فإنهما قد غلبتاني" (نش٦: ٥). وفيما هي في عمق الصلة بالله، فإن عالى الكاهن ظنها سكرى، وقال لها منتهراً "حتى متى تسكرين؟! أنزعي خمرك عنك". لم يميز بينها وبين النساء الخاطئات، اللاتي كان إبناه ينجسهن عند باب خيمة الإجتماع!! ولم يبالِ أن يجرح شعورها، وهي في أقدس لحظات الصلاة...

حينما وبخها عالى الكاهن ، لم يكن فيه روح الله .

ولا كانت له معرفة تمييز الأرواح (١يو٤: ١). لم يستطع أن يفرّق بين المرأة القديسة التي تصلي بالروح، والمرأة السكرى!.. كما أنه تصرف بسوء ظن وبفكر ردئ، دون أن يتحقق. ولم يكتف بسوء الظن، بل أضاف إليه أيضاً التوبيخ والإنتهار، كما لو كانت له غيرة مقدسة على بيت الله! ليته تصرف بغيرة كهذه أو أشد منها

في الحكم على خطايا إبنيه ...

كانت حنة مذنوفة أمام ضرتها فننة، وأمام الله في صلاتها، وأمام عالى الكاهن...

وأستحقت أولى تطويبات الرب التي قالها على الجبل "طوبى للمساكين بالروح" (مت٥: ٣). وأيضاً قوله في سفر اشعياء "إلى من أنظر: إلى المسكين والمنسحق الروح.." (إش٦٦: ٢).

أما عالى الكاهن ، فلم ير قلب حنة وروحها. فحكم حكماً ظالماً قاسياً! كان من واجبه أن يسألها عن سبب بكائها. كما كانت تنتظر منه كلمة عطف، وهو خادم الله. لكنه فعل العكس. ويعطينا فكرة عن تسرع الكاهن في الانتهار والتوبيخ ...

على أن حنه كانت تحترم الكهنوت، فأجابته في وداعة .

شرحت له حالتها، وكانت تكلمه بتضاع، بعبارة : "يا سيدي.. أمتك.." وداعة حنة ردت لعالى طقسه الكهنوتي. لذلك نالت بركته ودعاءه. فقال لها : اذهبي بسلام. ليعطك الرب سؤلك الذي سألته..

كانت تريد بركة هذا الكاهن ودعاءه، متغاضية عن أسلوبه .

نحن أحياناً لا نطلب البركة إلا من قديسين صانعي معجزات!! أما حنة فكانت تطلب البركة من الكاهن مهما كان أسلوبه قاسياً. فسمعت كلمته وفرحت بدعائه .

وفضت صومها، وحزنها وكآبة وجهها ومنحها الرب إياناً أسمته صموئيل، أى إسم الله.

الطفل النذير :

هناك اشخاص ينذرون أنفسهم للرب، كما يفعل الآباء الرهبان .

وهناك من ينذره الرب لنفسه كما فعل مع شمشون (قض١٣: ٤).

★أما صموئيل فقد نذرته أمه للرب، ووفت نذرها .

وربته بالأسلوب وفى البيئة التى تساعد على وفاء النذر .

كان إبنها وحيدها. ومع ذلك كانت صادقة فى كلامها مع الله. قالت له: إن أعطيتنى زرع بشر، أعطيه لك كل أيام حياته.. وقد كان. فما أن أرضعته، حتى اصعدته إلى الرب (١صم١: ٢٤). لم تتأخر إطلاقاً. ولم تستبقه معها لتتمتع به فترة أطول.. ما أجمل قول الكتاب "إذا نذرت نذراً للرب، فلا تتأخر عن الوفاء به" (جا٥: ٤).

لعل صموئيل هو أول طفل يخدم بيت الرب، منذ فطامه .

★وأمه لم تقدمه للرب فقط، بل قدمت معه ذبيحة كبيرة وتقدمة: ثلاثة ثيران، وإيفة دقيق، وزق خمر، شيئاً يصلح لغذاء قرية بأسرها.. وهى فى ذلك نفذت وصية الرب "ولا يظهروا أمامى فارغين" (خر٣٤: ٢٠) .

★وقدمته إلى عالى الكاهن قائلة "حية هى نفسك يا سيدى، أنا هى المرأة التى وقفت لديك هنا تصلى إلى الرب . لأجل هذا الصبى صليت، فأعطانى الرب سؤلى .. ولذا أيضاً أعرته للرب جميع أيام حياته" (١صم١: ٢٦- ٢٨) .

نلاحظ هنا أسلوب الإحترام ، والعرفان بالجميل .

★وفرحت حنة بتقديم إبنها طفلها للرب وسبحت الرب .

لم تقدمه وهى متضايقة على ترك إبنها وهو طفل. كلا، إنه فى رعاية الرب فى شيلوه أفضل من بقائه فى بيتها.. وقالت فى تسبحتها "فرح قلبى بالرب. ارتفع قرنى بالرب.. لأنى ابتهجت بخلاصك" (١صم٢: ١). ما أشبهها بتسبحة القديسة العذراء "تعظم نفسى الرب،وتبتهج روحى بالله مخلصى" (لو١: ٤٦) .

وكما قدمت صموئيل لخدمة الرب، ألبسته ملابس الخدمة .

وهكذا قال الكتاب "وكان صموئيل يخدم أمام الرب، وهو صبى متمنطق بأفود من كتان. وعملت له أمه جبة صغيرة. وأصعدتها له من سنة إلى سنة، عند صعودها مع رجلها لذبح الذبيحة السنوية" (١صم٢: ١٨، ١٩) .

★لهذا نالت بركة ثالثة، أن يكون لها بنون آخرون .

فأنجبت ثلاثة بنين وبنتين (١صم٢: ٣٠) حسب دعاء عالى

الكاهن الذى قال لزوجها "ليجعل لك الرب سلداً من هذه المرأة، بدل العارية التى أعارتها للرب" . ولكن لم يكن أحد من الأبناء الثلاثة الآخرين فى مثل عظمة صموئيل ...

طفولة صموئيل

تربى فى بيت الرب بجبته الصغيرة ومنطقته، وهو يخدم أمام عالى الكاهن، دون أن يتأثر بأخطاء حفنى وفنحاس ابنى عالى.

إن كان الهيكل الذى فى شيلوه قد دنسه ابنا عالى، فإن الرب رأى له هيكلاً آخر فى قلب صموئيل لم يتدنس قط.

حفظ صموئيل نفسه طاهراً وسط البيئة الدنسة، يحيا فى بيت الله ويخدمه.. كان وردة وسط الشوك.

فلا يقل أحد : صعب علىّ أن أعيش طاهراً وسط عثرات لا تحصى فى الوسط الخارجى ..!

كلا فقد حافظ موسى على إيمانه فى قصر فرعون، وسط عبادات كثيرة غريبة. وحافظ يوسف الصديق على عفته، على الرغم من الضغوط الخارجية لإسقاطه. وكذلك دانيال الذى فى أرض السبى "وضع فى قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه" (دا١: ٨). وأيضاً أبونا نوحاً عاش كاملاً أمام الله، فى بيئة زاد فسادها حتى أن الله أغرقها بالطوفان . وهكذا ممكن فى

أسوأ العصور وأفسدها ، أن يوجد أشخاص روحيون وأبرار كان الخير الذى فى داخلهم أقوى من الشر الخارجى الذى يحاربهم . والله "لا يترك نفسه بلا شاهد" (أع١٤: ١٧) .

وأحياناً يختار الله أطفالاً - كصموئيل - ليكونوا شهوداً له .

ارميا حينما أختاره الله "نبياً للشعوب" كان طفلاً، لذلك قال للرب "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد"(ار١: ٦). وداود أيضاً كان أصغر أخوته، لما صار مسيحاً للرب. ويوسف أيضاً كان أصغر أخوته..

وبنفس الوضع أختار الله صموئيل الصغير ليكون نبياً له .

كان إبناً لإمرأة عاقر. وكم من عواقر ولدن أطفالاً عظاماً .

يوسف الصديق ، كانت أمه راحيل عاقراً (تك٣٠: ١، ٢) . وشمشون الجبار كانت أمه عاقراً (قض١٣: ٢). ويوحنا المعمدان أعظم من ولدته النساء، كانت أمه اليصابات عاقراً" (لو١: ٧) . كذلك كان صموئيل .. ولكن الله قادر أن يختار الأرض المجدبة لتُخرج منها ثمراً صالحاً ...

وكانت الخطوة التالية ، أن يبدأ الله مع هذا الطفل رسالة شعر بها الناس جميعاً أنه "قد أؤتمن صموئيل نبياً للرب" (١صم٣: ٢٠). فكيف كان ذلك؟

مع أن كلمة الله كانت عزيزة فى تلك الأيام ، إلا أنها لم تكن

عزيزة على صموئيل ،

أراد الله أن يبلغ رسالة إلى عالى الكاهن، فاختار صموئيل لتبليغها. إختار هذا الطفل الصغير ليبلغ رسالته إلى ذلك الشيخ الطاعن في السن، الذى لم يكن مستحقاً أن يكلمه الله مباشرة ..!

فنادى على صموئيل ثلاث مرات. وكانت خبرة جديدة على هذا الطفل الصغير، فظن الصوت صوت عالى الكاهن يناديه. ولقنه الشيخ إلى أنه صوت الله. فالصحيح أن يرد بعبارة "تكلم يارب، فإن عبدك سامع" (١صم٣: ٩).

وتكلم الرب : وكانت النبوءة عما سيلحق بيت عالى من عقوبة الرب من خراب البيت وانتهاء كهنوته .

كانت رسالة صعبة خاف الطفل صموئيل أن يوصلها لذلك الشيخ الكبير. ولكن لما الح عالى، صارحه بها، فقال "هو الرب، ما يحسن فى عينيه يفعل" . لم يلق نفسه أمام الله طالباً الرحمة والمغفرة، إنما اكتفى بتلك العبارة .

كيف إذن تمت عقوبة الله على عالى وأهل بيته؟

نحميا وعزرا
فى العمل الروحى والبناء الروحى

استطاع نحميا أن يبنى أسوار أورشليم ، ولا يكون الشعب عاراً واستطاع بعزيمته التى لا تعرف اليأس أن يحول الظلمة إلى نور، وأن يحول الحزن إلى فرح . ولكنه لم يكتف بهذا .

كانت هناك نفوس مثل أورشليم : أسوارها مهدمة، وأبوابها محروقة بالنار ، وهى مدوسة أيضاً من الأعداء ، وبلا كرامة .

فلما انتهى نحميا من ترميم المدينة ، التفت إلى ترميم النفوس .. ولم يرد أن تكون أورشليم فى أسوارها الجديدة ، مثل القبور المبيضة من الخارج ، وداخلها عظام نتنة (مت٢٣: ٢٧) .

وحقاً إن الذين عادوا من السبى ، استقروا كل واحد فى مدينته

(نح٧: ٦) . ولكن كان لابد للجميع أن يأخذوا من السبى درساً ، وأن يعرفوا لماذا سمح الله بسبيهم وأسلمهم إلى أيدى أعدائهم .

كان لابد أن يتلافوا الأسباب التى دعت إلى سبيهم ، حتى لا يعود الله فيغضب عليهم ويسلمهم إلى سبى جديد .

كان لابد أن يتخلصوا من سبى الخطية إقتوبهم ، هذا السبى الداخلى الذى أدى إلى سبيهم فى بابل وأشور وأرض فارس .

ومن هنا بدأ العمل الروحى .. كان لابد أن يرجعوا إلى الله ، كما رجعوا من أرض السبى إلى أورشليم . ولكن كيف تم ذلك ؟

"اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة .. وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب" (نح٨: ١).

أتى عزرا بسفر الشريعة أمام الرجال والنساء، وقرأ فيها من الصباح إلى نصف النهار . وكان لما فتح السفر أمام كل الشعب، وقف كل الشعب . وبارك عزرا الرب، وقال الشعب آمين آمين.

"وخروا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض" "وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة" (نح٨: ٦، ٣) .

إذن لم يكن الحدث التاريخى الهام، هو عودة الشعب من السبى، إنما عودة الشعب إلى الله. ولم يكن بناء بيت الرب سوى مجرد وسيلة للبناء الروحى الذى أشرف عليه نحميا وعزرا .

لقد قرأوا عليهم سفر الشريعة ، وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة " (نح٨: ٨) .

ولما سمع الشعب كلام الله ، تأثروا وبكوا . فقال نحميا وعزرا والكهنة للشعب " اليوم مقدس . لا تنوحوا ولا تبكوا .. لا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم" (نح٨: ٩، ١٠) .. ففرح الشعب فرحاً عظيماً ، وأكلوا وشربوا. حقاً ، إنه للبكاء وقت ، وللفرح وقت ، كما يقول الكتاب (جا٣: ٤).

ولكن أهم من الفرح بكلام الله ، الفرح بالعمل فيه .

وهكذا اجتمعوا بالصوم والمسوح والتراب ، وصلوا إلى الله (نح٩: ١، ٢) .

لم تكن مجرد صلاة عادية روتينية ، إنما صلاة من قلوب منسحقة فى التراب ، فى صوم ، ومسوح . وشملت صلواتهم عناصر متعددة أساسية :

بدأوا بصلاة التسبيح " أنت هو الرب وحدك . أنت الذى صنعت السموات وسماء السماوات" . ثم باركوا الرب على اختياره ابرام ، وذكّروا الرب بعهده مع أبينا إبراهيم ، ثم عجائب الله معهم ، وشريعته التى قدمها لهم على يد موسى النبى .

ثم اعترفوا بخطاياهم أمام الله " آباؤنا صلّبوا رقابهم ، ولم

يسمعوا لوصاياك" (نح٩: ١٦). وأطالوا الإعتراف بخطايا الشعب والآباء أمام الله "صلّبوا رقابهم ولم يسمعوا. فاحتملتهم سنين كثيرة.. ولم يصيغوا. فدفعتهم إلى أيدى شعوب الأراضى. ولكن لأجل مراحمك الكثيرة لم تفنهم ولم تتركهم" (نح٩: ٢٩- ٣١). وختموا إعترافاتهم بقولهم للرب "أنت بار فى كل ما أتى علينا . لأنك عملت بالحق ، ونحن أذنبنا"...

وختموا اعترافاتهم وتذللهم ، بأن عقدوا ميثاقاً مع الرب .

شرحوا للرب الذلّ الذى يعيشون فيه، ثم قالوا له "من أجل كل ذلك، نحن نقطع ميثاقاً ونكتبه. ورؤساؤنا ولاويونا وكهنتنا يختمون" (نح٩: ٣٨) . وكان أول الذين ختموا نحميا الترشاثا، ثم عدد كبير من الكهنة وقادة الشعب .

" ودخلوا فى قسم وحلف أن يسيروا فى شريعة الله ... وأن يحفظوا ويعملوا جميع وصايا الرب .. " (نح١٠: ١، ٢٩) .

تعهدوا بالإنفصال عن الزيجات الخاطئة، وأن يحفظوا مواسم الرب وسبوته، وأن يقدموا البكورات والعشور، وما يخص المحرقة الدائمة وذبائح الخطية ، وترك السنة السابعة والديون..." (نح١٠: ٣٠- ٣٩) .

ونظموا عمل الكهنوت واللاويين وخدمتهم (نح١٢) .

وكذلك عمل المغنين والحراس والبوابين .. وبدا أن كل شئ قد ترتب ، ووضعت جميع التنظيمات .. لهذا سافر نحميا، لكى يقدم تقريراً للملك عن كل ما عمله (نح١٣: ٦).

ولكنه لما عاد إلى أورشليم ، وجد أموراً خطيرة قد حدثت تحتاج إلى إصلاح .

وهذا يرينا أن كل إصلاح يتم ، لابد يحتاج إلى متابعة .

كان الياشيب الكاهن المقام، قد هيأ مخدعاً عظيماً لطوبيا عدو نحميا الأكبر الذى كان له دور خطير فى مقاومة بناء سور أورشليم. وقد هيأ الياشيب هذا المخدع لطوبيا فى المكان الذى كانوا من قبل يضعون فيه التقدمات والبخور والآنية والخمر والزيت .. (نح١٣: ٤، ٥) .

ثم حضر نحميا، وعرف الشر الذى عمله الياشيب لأجل طوبيا.

وهنا نرى نحميا فى حزمه وقوته وغيرته لقدسية بيت الرب .

لقد ساءه الأمر جداً، فطرد طوبيا من المكان. وطرح جميع آنية بيت طوبيا خارج المكان. وأمر فطهروا المخادع ، ورد إليها آنية بيت الله مع التقدمة والبخور (نح١٣: ٧- ٩).

كما قام بإصلاح أمور أخرى ، إذ وجد أنه فى غيابه لم تعطَ للاويين أنصبتهم ، فهرب اللاويون والمغنون كل واحد إلى حقله..

فأعادهم إلى خدمتهم، وأمر بمنحهم أنصبتهم. وأقام خزنة على الخزائن.

هناك مواقف فى الخدمة تحتاج إلى حزم . وإلى يد شديدة مدبرة .

نحميا هنا لم يجامل الياشيب الكاهن، لأنه كان مخطئاً فى موقفه من طوبيا ومن قدسية بيت الرب . كذلك لم يجامل الذين منعوا عن اللاويين أنصبتهم ، بل خاصمهم ووبخهم (نح١٣: ١١) . ولم يكتف بقوله "ساعدنى الأمر جداً " (نح١٣: ٨) . بل أخذ موقفاً حازماً . وهذا الحزم جاء من نحميا الذى رأيناه فى وقت آخر باكياً ومنسحقاً (نح١: ٤) .

أمر آخر خطير وقف أمام نحميا وعزرا ، وهو الزيجات الخاطئة .

كان كثير من الشعب، بل ومن الكهنة أيضاً واللاويين لم ينفصلوا عن " شعوب الأرض حسب رجاساتهم". وتزوجوا من الكنعانيين والحيثيين والعمونيين والموآبيين وغيرهم " فاتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم. واختلط الزرع المقدس .. " (عز٩: ١، ٢).

وهؤلاء الشعوب لهم آلهة غريبة ، وكثيراً ما كان لهؤلاء الزوجات تأثيرهن ، حتى فى أيام سليمان الحكيم الذى قال عنه

الكتاب " إن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب " (١مل١١: ٤) .

فلما سمع عزرا بتلك الزيجات الخاطئة ، اعتبرها خيانة (عز٩: ٢، ٤) .

ومزق عزرا ثيابه ورداءه ، ونتف شعر رأسه ولحيته ، وجلس متحيراً فاجتمع إليه كل من ارتعد من كلام الله (عز٩: ٣، ٤) .

كان كلام الله واضحاً فى رفض تلك الزيجات (خر٣٤: ١٥، ١٦) ، وهذا هو ما تذكره عزرا أيضاً (عز٩: ١٢) ، خوفاً من انتقال الوثنية إلى شعب الله ...

صلى عزرا أمام الله وقال فى ذلك "وعند تقدمة المساء، قمت من تذللى. وفى ثيابى الممزقة، جثوت على ركبتى، وبسطت يدىَّ إلى الرب إلهى وقلت: اللهم إنى أخجل وأخزى يا إلهى من أن أرفع وجهى نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا .. ولأجل ذنوبنا قد دُفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأرض للسيف والسبى والنهب وخزى الوجوه إلى هذا اليوم .. ". ثم قال عبارة مؤثرة :

" قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا " (عز٩: ١٣) .

إنها أعمق من عبارة اللص اليمين "نحن بعدل جوزينا" (لو٢٣: ٤١) ، نعم ، فى كل عقوبات الله لنا ، يجازينا بأقل مما نستحق ..

وهكذا ختم عزرا صلاته بقوله للرب " أنت بار لأننا بقينا ناجين كهذا اليوم . ها نحن أمامك في آثامنا " .

وكانت صلاة عزرا الباكية والمنسحقة ، لها تأثيرها على كل الناس . وهكذا يقول الكتاب " فلما صلى عزرا ، واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله ، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً .. لأن الشعب بكى بكاء عظيماً " (عز١٠: ١) .

ما أعظم تأثير بكاء الرجل ، وبكاء الكاهن .

المرأة كثيراً ما تبكي ، والرجل نادراً ما يبكي، بل يضبط نفسه. لهذا فإن بكى الرجل، يكون بكاؤه مؤثراً. قد يحتمل الإبن بكاء أمه، ولكنه لا يستطيع أن يحتمل بكاء أبيه ... فإن كان الرجل مؤثراً في بكائه ، فكم بالأولى إن كان كاهناً . وكم بالأولى إن كان بكاؤه أمام الله ، بانسحاق قلب ، وثيابه ممزقة ، وقد نتف شعره ، وركع يعترف بالخطايا أمام الله ...

وهكذا قطع الشعب عهداً أمام الله بترك تلك الزيجات الغاطئة (عز١٠: ٣) .

"وانطلق عزرا وهو لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء ، لأنه كان ينوح بسبب أهل السبي". وأطلقوا نداء لكي يجتمع الشعب "وجلس جميع الشعب في ساحة بيت الله مرتعدين" . وشرح لهم عزرا

خيانتهم للرب باتخاذهم نساء غريبة "غير مؤمنة" . وأمرهم بالانفصال عنهن . وقالوا بصوت عظيم : كما كلمتنا كذلك نفعل (عز١٠: ٦– ١٢) .

ولم يجامل أحداً من الكهنة ولا من الرؤساء الذين وقعوا في تلك الخطية (عز١٠: ١٨).

وكذلك لم يجامل أحداً من اللاويين (عز١٠: ٢٣) ولا من الرؤساء (عز١٠: ١٤). وجلس لفحص كل الحالات " وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة ".

وبنفس الأسلوب تصرف نحميا أيضاً:

فعل ذلك مع اليهود الذين ساكنوا نساء اشدودويات وعمونيات وموآبيات (نح١٣: ٢٣). فجمعهم ووبخهم بشدة وعنف، وضرب لهم مثلاً بسليمان الملك، الذى جعلته النساء الوثنيات يخطئ.. ولم يجامل الكهنة في ذلك، بل قال: "اذكرهم يا إلهي، لأنهم نجسوا الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين. فطهرتهم من كل غريب. وأقمت حراسات الكهنة واللاويين ، كل واحد على عمله" (نح١٣: ٢٩، ٣٠) .

وهكذا قام نحميا وعزرا بعملية تطهير وتنقية للشعب، وبناء روحي.

فهرس الكتاب

صفحة

مقدمة ٥

إبراهيم أبو الآباء والأنبياء ٧

لوط مع عمه إبراهيم ٣٧

صموئيل النبى ٥١

صموئيل النبى مع شاول الملك ٦٥

صموئيل النبى آخر عصر القضاة ٧٦

تحميا وعزرا فى العمل الروحى والبناء الروحى ٨٧

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

يحدثك هذا الكتاب عن تأملات روحية فى حياة بعض من شخصيات الكتاب، هى:

- إبراهيم أبو الآباء والأنبياء.
- لوط مع عمّه إبراهيم.
- صموئيل النبى آخر قضاة إسرائيل وعلاقته مع شاول الملك.
- نحميا وعزرا.

إنها شخصيات كانت لها مثالياتها فى الحياة الروحية، كما كانت لها ضعفاتها أحياناً.

نضعها أمامك كما هى، كما عرضها الكتاب المقدس.

أنبا بنيامين

الثمن ١٠٠ قرشاً